شرح قصيدة

يا رب يا عالم الحال

الكواكب الدرية شرح الأبيات الحدادية
المسماة بالنفحة العنبرية في الساعة السحرية

تأليف

الامام العارف بالله محمد بن زين بن سميط

١١٠٨ - ١١٧٢هـ رحمه الله تعالى

اعتنى بتحقيقه

قسمُ البحثِ العلميّ بدارِ الفتح

قرأهُ وقدّمَ له

إياد أحمد الغوج

دار الفتح للدراسات والنشر

دار العلم والدعوة

□ شرح قصيدة يار ياعالم الحال
تأليف :الإمام محمد بن زين بن سميط
الطبعة الأولى: ١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

قياس القطع: ١٧×٢٤
الرقم المعياري الدولي: ISBN: ٩٧٨-٩٩٥٧-٢٣-١١٧-٠
رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية : ٢٠٠٨/١١/٤٠٢٣

دار العلم والدعوة

الجمهورية اليمنية، تريم (حضرموت)
تلفاكس ٤١٩٣٣٦ (٠٠٩٦٧٥)، ص.ب ٥٨٠٧٦

دار الفتح للدراسات والنشر

تلفاكس ٤٦ ٤٦ ١٩٩ (٠٠٩٦٢٦)
جوال ٠٥٨ ٠٣٨ ٧٩٩ (٠٠٩٦٢)
ص.ب ١٨٣٤٧٩ عمّان ١١١١٨ الأردن
البريد الإلكتروني: info@alfathonline.com
الموقع على شبكة الإنترنت: www.alfathonline.com

شرح قصيدة

يا رب يا عالم الحال

الكواكب الدرية شرح الأبيات الحدادية
المسماة بالنفحة العنبرية في الساعة السحرية

تأليف

الامام العارف بالله محمد بن زين بن سميط

١١٠٨ - ١١٧٢هـ رحمه الله تعالى

اعتنى بتحقيقه

قسم البحث العلمي بدار الفتح

قرأه وقدم له

إياد أحمد الغوج

دار العلم والدعوة

دار الفتح للدراسات والنشر

بسم الله الرحمن الرحيم

بينَ يدَي الكتاب

تَقدِمةٌ بقلم الأستاذ إياد أحمد الغوج[1]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمدُ لله سبحانه. اللهمَّ صلِّ وسلِّم وباركْ على النبيِّ الهادي، وعلى آله وصحبه.

وبعد،

فكم كانت تلك الأبياتُ الجميلةُ العذْبة تثيرُ سواكنَ القلب، وتحرِّك عَصِيَّ الدمع؛ لأنها لم تكن كأيِّ شعرٍ يُقال، إنما كانت زَفَراتِ قلبٍ لوّعَهُ الشوق إلى حضرة الأُنس، وتَـمَلْمُلاتِ نفسٍ لم تنعُم بسكينةٍ حتى سكنتْ في نعيم العبودية، وأناختْ بأحمالها في ساحةِ الربُوبية، فكانت أعتابُ الكريمِ الودودِ ملتَـزَمَها ومعتَصَمَها، وكان قرعُ الباب هِجِّيرَها ودأْبَها... تناجي فتقول ـ وهو مطلِـعُ تلك الأبيات:

يـا ربِّ يـا عالِـمَ الحـالْ　　　إليـكَ وجَّهـتُ الامـالْ
فامنُـنْ علينـا بالاقبــالْ　　　وكنْ لنـا واصلِـحِ البالْ

تشكو الذنوبَ إلى طبيبِها، وقد بتّتِ الأسبابَ إلّا مِن حبيبِها.. ترجوهُ مداواتَها، ومعافاتَها، وتسألُه هُداها وثباتَها، تستعطيه من خزائن البِرّ، وتستدفع به طوارقَ الضُّرّ، وتتقلّبُ بينَ يديهِ بضروبِ التذلّلِ والانكسار، والتبَؤّسِ والافتقار، يسوقُها الخوفُ

---

(١) باحثٌ في الدراسات الإسلامية، ومختصٌّ في تحقيق المخطوطات، من الأردن.

والإشفاق، ويحدُوها الظنُّ الجميلُ وحسْنُ الرَّجاء... وتَـحُطُّ آمالَـها في ذلكَ الجنابِ الكريم، حتى لقد تذكِّـرُني قولَ القائل:

تمـوتُ النفُـوسُ بأوصابِـها ولم تَـدْرِ عُـوّادُهـا مـا بِـها
وما أنصَفَتْ مُهجةٌ تشتكي هواهـا إلى غيـرِ أحبـابِــها

كنتُ أسمعُ تلكَ الأبيات في مجالس الصالحين وقد حملَتْ في طيّاتها حالَ ناظِمِها، فكانت من جنسِ الكلام الصادق الذي ينفُذ إلى القلوب نُفوذَ العبيرِ إلى الأنوف... كيف لا وناظمُها هو العبدُ الصالح، العارفُ الكبير، شامةُ مِصرِه، وحسَنةُ زمانِه، الإمامُ العلّامةُ المحققُ في علوم الشرع ومعارفِ الحقيقة، السيّدُ عبدُ الله بنُ علويٍّ بنِ محمدٍ الحدّادُ الـحُسَينيّ، عينُ أعيانِ السادةِ العَـلَويّـينَ الحضرميّـينَ في زمانِه حتى يوم الناسِ هذا، رضيَ الله عنه وأرضاه.

وكم نفَعَ اللهُ بهذا الإمامِ الذي يعلُو الإخلاصُ كلماتِه، وتَمتزجُ العبوديةُ بعباراتِه، وكانَ لصفاءِ مشرَبِه أنْ عدَّ الناسُ تصانيفَه في السلوكِ والمعاملةِ خلاصةَ ما كتبَهُ حجةُ الإسلام الغزاليّ، وناهِيكَ بذلك، ومَن طالعَ تلكَ التصانيفَ عَلِمَ صحةَ ما قالوا، وأيقنَ أنّ العملَ بما فيها سبيلُ نجاةٍ حقاً.

وبعد،

فهذا الذي بينَ يدَيك أيها الأخُ في الله؛ شرحٌ حسَنٌ للغاية لتلكَ القصيدةِ التي قدّمْتُ الحديثَ عنها، كتبه عالمٌ من أجلِّ تلامذة الناظم، هو الإمامُ القُدوةُ العارفُ بالله، السيِّدُ الحبيبُ جمالُ الدِّين محمدُ بنُ زينِ بنِ سُمَيط، المتوفى بشِبام حضرمَوت، سنةَ ١١٧٢هـ، تغمّده الله تعالى برحمتِه. وقد سمّى شرحَه هذا: «الكواكبَ الدُّرّية شرح الأبيات الحدّادية المسمّاةِ بالنفحة العنبرية في الساعة السحَرية».

وكنتُ ظَفِرتُ بنسخةٍ من هذا الشرح مصوَّرةٍ من إحدى المكتباتِ الخاصّة، ولـمّا تأملْتُه ألفَيتُه ذا مَزايا حِسان، فدفعتُ به إلى قسم البحث العلميّ بدار الفتح للدراسات والنشر، ليقومَ على العنايةِ به ونشرِه.

ومن مزايا هذا الشرح:

أنّ مؤلِّفَه أخذَ على نفسِه ألا ينقُلَ فيه عن أحد، إنما يتكلّمُ على المعاني ويقرِّرُها على حسب الفهم والفتح، وقد وُفِّق في ذلك ما شاء.

ومنها: أنّ مؤلِّفَه سُنِّيٌّ محقّقٌ في عقيدتِه، فجاء شرحُه دقيقاً في تقرير معاني التوحيد، وشرح الأسماء الإلهية، والحديث عن صفاتِ المولى تعالى.

ومنها: أنه عالي العبارة في تقريرِ المعاني الذَّوقية، وتقعيدِ المعالم السُّلُوكية، وهو العارفُ الذائقُ المحقّق، الذي عبَّ من معاني أستاذِه أبي محمدٍ الحدّاد، وتنوَّرَ بأنوارِ إرشادِه، وانقطعَ إليه زماناً، فأضحى من أحرى الناس بشرحِ كلام شيخِه والعبارةِ عن معانيه ومقاصده.

ومنها: لغتُه الصحيحة، وعربيّـتُه الحسَنة، التي اكتسى بها الشرحُ مِسحةً أدبيةً لطيفة، فجاءت المعاني العاليةُ تُزجِيها ألفاظٌ متخيَّرةٌ جميلة، ويَزِينُها حِيناً وحِيناً سجعٌ حسَنٌ غيرُ متكلَّف.

ومنها: كثرةُ استشهادِ المؤلِّف ـ لمعاني الأبياتِ التي يشرحُها ـ بأشعارٍ أخرى من ديوان شيخه، مما يدلُّ على تملِّيه مما عندَ أستاذه كما ألمعتُ إليه آنفاً.

وبالجملة... فهذا كتابٌ فيه نور، من صِنْفِ الكتبِ التي تُشوِّق السالكَ لمعاني القربِ من الله تعالى، وتشحذُ همتَه للترقي في مدارج العبُودية، أسألُ الله تعالى أن ينفعَني به وكلَّ مَن طالعَه، ويجزيَ الإمامَين: الناظمَ والشارحَ، أحسنَ الجزاء، كِفاءَ ما دلّا عليه من الـهُدَى والصَّلاح.

وصفُ النسخةِ الخطّيّةِ لهذا الشرح:

أصلُ هذه النسخة محفوظٌ في إحدى الخزائن الخاصّة، وقفتُ على صورةٍ منها اتفاقاً لدى أحد الإخوة المحبِّين، وقد كُتبَ على طُرّتها إهداءٌ من العالم الفقيه المسنِد السيّد محمد بن عبد الله بن طاهر بن سُميط[١]، إلى السيّد الجليل العارف بالله علويِّ بن محمد بن طاهرٍ الحدّاد[٢]، رحمهما الله تعالى.

وهيَ نسخةٌ تامّـةٌ، تقعُ في أربعٍ وأربعينَ ورقةً (ذاتَ وجهَين)، خِلْوٌ من تاريخ النسخ واسم الناسخ. خطُّها نسخيٌّ واضح، وقِطْعُها أقربُ إلى الصّغير، في كل صفحةٍ منها ١٩ سطراً.

والناسخُ لا يبدو من أهل العلم، فوقعتْ له أخطاءٌ عدة، في رسم الكلماتِ وإعرابِها، لنزوعِ اللهجةِ العامّيةِ به عن مقتضى الإعراب الصحيح.

وفـي موضعٍ واحدٍ من النسخة سقْطٌ مجهولُ المقدار، كشَفَه اختلالُ سياق العبارة، أُشِيرَ إليه في محلِّه، لكنه لا يعدُو أسطراً في ظني، لأنّ السياقَ العامَّ في جُملتِه صحيح.

وقد اجتهدَ قسمُ البحث العلميّ في تقويم النصِّ حتى ساغَ، فيما يظهر، صحيحاً بدرجةٍ جيّدة، واقتصدوا في التعليق على الكتاب، وجعلوا جُلَّ اهتمامهم تنقيةَ نصِّه من الخطأ، وضبطَه وتفقيرَه بعنايةٍ ليسهُلَ فهمُه وتذوُّقُه. ثم صدَّروه بترجمةٍ للمؤلِّف كنتُ جمعتُها فيما مضى، وأثبَـتُوا النصَّ الكاملَ للقصيدة المشروحة مفرَداً في صدر الكتاب.

---

(١) المتوفى بشبام سنةَ ١٣٧١هـ. ترجمته في «الدليل المشير» للحبشي، ص٣٥١-٣٥٥.

(٢) المتوفى بـ(بُوقُور) في إندونيسيا سنةَ ١٣٧٣هـ. تُنظَر ترجمته في: «تاريخ الشعراء الحضرميين» للسقاف ٥: ٢٥٩، «شمس الظهيرة» ٢: ٥٦٣ (التعليق)، «قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر» للعلامة السيّـد عبد الله بن طاهر الحدّاد (مخطوط). وله ترجمةٌ ضافية في «تاج الأعراس» للسيد علي بن حسين العطّاس ٢: ٣٤٠-٣٧١. ويُنظر «إدام القوت» لابن عبيد الله السقاف، ص٣٩٥.

وصنعوا بعدَ ذلك فِـهرساً مفصَّلاً لمحتويـاتِ الكتاب وفوائـده. شكرَ الله لهم، وتقبّل جهدَهم بقَبولٍ حسَن. وقد قرأتُ العملَ بعدَ ذلك وكتبتُ على مويضعاتٍ منه تعليقاتٍ مُيِّزت باسم الفقير كاتبها.

وأخيراً... فهذا ما قصدتُ إلى كتابته في هذه التقدِمة. أسألُ اللهَ تبارَكَ وتعالى أنْ يجعلَ النفعَ في هذا الكتاب، ويوفّقَ الباحثينَ والمحققينَ الأكْفاء إلى خدمة التراث الصُّوفيِّ السُّـنّـيِّ النقيّ، فإنّ كلامَ الصوفيةِ الصالحينَ من أنفع الأدوية لأدواء القلوب. وفّقَنا الله والمسلمينَ إلى ما فيه مرضاتُه، والحمدُ لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

كتبه

العبدُ الضعيف

إياد بن أحمد بن سالم الغوج

بعمّانَ المحروسة

في الثامن من ذي الحجة الحرام سنةَ ١٤٢٩هـ

الموافق للسادس من كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٠٨م

ترجمةُ العَلَّامةِ العارفِ بالله
السيِّدِ الحبيبِ محمَّـدِ بنِ زَينِ بنِ سُمَيط باعَلَوي[١]
(١١٠٨-١١٧٢هـ)

الإمامُ القدوة، العالـمُ العامل، الورعُ الزاهدُ العارفُ بالله، الحبيبُ جمالُ الدين محمدُ بنُ زَينِ بنِ عَلَوي بنِ عبدِ الرحمن بنِ عبدِ الله بنِ محمدٍ سُمَيط[٢]، باعلوي الحسينيُّ الحضرميُّ الشافعيّ.

وُلد الحبيبُ محمدٌ في مدينة (تَرِيم) الغَنّاء، فاتح شهر شعبان سنة ١١٠٨هـ ونشأ في رعاية والده الصالح المبارك: السيّد زين بن علوي.

---

(١) من مصادر ترجمته:
«مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين» لتلميذه الشيخ معروف بن محمد باجمّال (مخطوط)، «عقد اليواقيت الجوهرية» لعيدروس بن عمر الحبشي ٢: ٨٦٠-٨٦٣، «تاريخ الشعراء الحضرميين» لعبد الله السقاف ٢: ١٢٧، «إدام القوت» لابن عُبيد الله السقاف ص٥١١، «المعجم المختصّ» للحافظ الزبيدي، ص٧٣٥-٧٣٧، «الأعلام» للزركلي ٦: ١٣٣، «معجم المؤلفين» لكحّالة ٣: ٣٠٨، «القلادة: مقالات الأستاذ عمر باذيب» ص٧١-٩٥، وغيرها.

(٢) آل (بن سميط) أسرةٌ كريمة، مشهورة بفحول العلماء وسادات الأتقياء، وهم منتشرون في (تريم) و(شبام) بحضرموت، وفي إندونيسيا، وفي الحجاز من الديار السعودية، وغيرها. و(سُمَيط) تصغير سِمْط، وأول مَنْ لُقب به: جدهم السيد محمد بن علي بن عبد الرحمن. انتهى من «القلادة» للأستاذ عمر باذيب، ص٧٤، باختصار.

حفظ القرآن الكريم، وقرأ المتون العلمية، من فقهٍ وحديث، وتفسيرٍ وعربيةٍ، وغيرها، وتلقى عن علماء مِصْره، منهم السادةُ الصدورُ الأجِلّة: عمرُ بن عبد الرحمن البار، والحسين بن عمر بن عبد الرحمن العطّاس، و عمر بن حامد الحامد المنفِّر، والعلّامة الشيخ سالم بن عمر بلحاج بافضل، وغيرهم.

أمّا أجلُّ شيوخه فهو الإمام قطبُ الإرشاد، عبدُ الله بن علوي الحدّاد، صحبه الحبيب محمد بن زين وانقطع إليه انقطاعاً تاماً. وصحب بعده تلميذَه العلامةَ الحبيب أحمد بن زين الحبشي، وعن هذين العَلَمَين جُلُّ أخذه وملازمته، وفي ذلك يقول الحبيب ابن سُمَيط من شعره:

أحـمَـدُ اللـهَ إذْ مَـنَّ علـيّ ... بالجميلِ الـمَحْضِ أسداهُ إليّ
نعمـةٌ ما مثلُهـا مِـنْ نعمــةٍ ... نعمةٌ عظمى لقد جَلَّتْ لدَيّ
نسبتي للقوم ساداتِ الورى ... وهُداةِ الخَلْق مِنْ جهلٍ وغيّ
وهما الحدّادُ والـحَبْشي اللذا ... نِ هما كنزي إذا كَلَّـتْ يـدَيّ
أيُّ شيءٍ فـاتَ مَنْ أدرَكْهُمـا ... والذي فاتاه أدرَكْ أيَّ شيّ؟!

في سنة **١١٣٥هـ** انتقل الإمام محمد بن زين مع والده وأسرته إلى مدينة (شِبام)، بعد وفاة شيخه الحدّاد، فكانت مستقرَّه، ومنطلَقَ دعوته، فتلقى عنه خَلْقٌ كثيرون، وعمَّ نَفْعُه، وانتشرَ ذكْرُه.

كان الحبيب محمد رحمه الله فصيحَ العبارة، لطيفَ الإشارة، حسنَ المظهَر، كريماً جواداً، وَرِعاً زاهداً، شجاعاً مجاهداً، ذا صدَقاتٍ ومبرّات.

وإلى جانب قيامه بأعباء التعليم والإرشاد والدعوة كتبَ الحبيبُ محمدٌ عدةَ مؤلفات، منها:

١ـ «غاية القصد والمراد في مناقب الإمام عبد الله بن علوي الحدّاد». قال في هذا الكتابِ الحافظُ محمد مرتضى الزبيديّ: «وقد اطلعتُ على التأليف المشار إليه، فوجدته جامعاً للفوائد، استطردَ فيه إلى ما يجلُّ عن الوصف، ونقلتُ منه بعضَ كلامه في مدح أستاذه»[1].

٢ ـ «بهجة الفؤاد»، مختصرٌ من «غاية القصد والمراد».

٣ـ «قرة العين وجلاء الرَّين، في مناقب الإمام أحمد بن زَين (الحبشي)»، مخطوط.

٤ ـ «بهجة الزمان وسَلْوة الأحزان»، ذكر فيه تراجمَ طائفةٍ من أشياخ شيخه الحدّاد وأقرانه وأصحابه، مطبوع.

٥ ـ «إتحاف المريدين، وإسعاف المسترشدين، بلُباب كتاب إحياء علوم الدين».

٦ ـ «لب اللباب خلاصة مجمع الأحباب (للواسطي)»، مخطوط.

٧ـ «الدر المنضود، الملتقط من بحر العهود (للشعراني)»، مخطوط.

٨ ـ «الدرر واللطائف في اختصار عوارف المعارف»، مطبوع[2].

٩ ـ «شرح قصيدة: يا رب يا عالم الحال (لشيخه الحدّاد)»، كتابنا هذا.

وغيرها من التآليف المباركة.

---

(١) «المعجم المختص» للزبيدي، ص٧٣٦.

(٢) بتحقيق الأستاذ حمد الله حافظ الصَّفْتيّ، ومراجعة إياد الغوج وتقديمه، ونشرته دارا: الفتح للدراسات والنشر بعمّان الأردن، ودار العلم والدعوة بتريم حضرموت، سنة ١٤٢٧هـ ـ ٢٠٠٦م.

قال الحافظ الزبيدي: «وفي أواسط سنة ١١٦٦ كتبتُ إليه كتاباً أستجيزُه وأنا بثغرِ الحُدَيدة وهو بروضةِ شِبام، على يد المحبِّ الصالح الحاجِّ علي بن محمد الشِّحاريّ[1] أحدِ أعيان التجّار بالثغر، فأتاني الخبرُ من بعدُ أنه أجازَ نطقاً واعتذرَ عن الكتابة لأشغالٍ منعَتْه»[2].

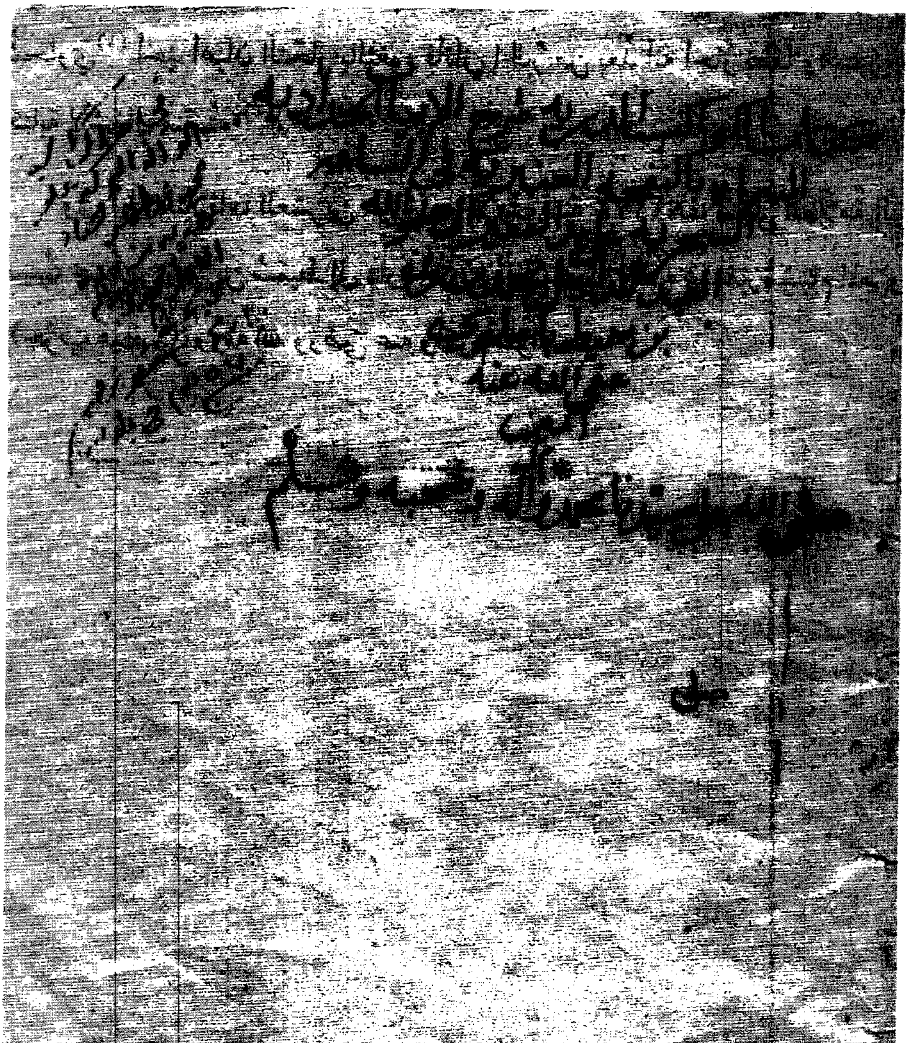
وفي ليلة الثلاثاء، العشرين من ربيع الأول سنة ١١٧٢هـ، انتقل العلّامةُ الوليُّ الحبيبُ محمدُ بن زَين بن سُمَيط إلى دار الحق، ودُفنَ بجوار والده في مقبرة شِبام المعروفة بـ (جرْب هَيْصَم)، رحمه الله ورضيَ عنه وأكرم مثواه.

* * *

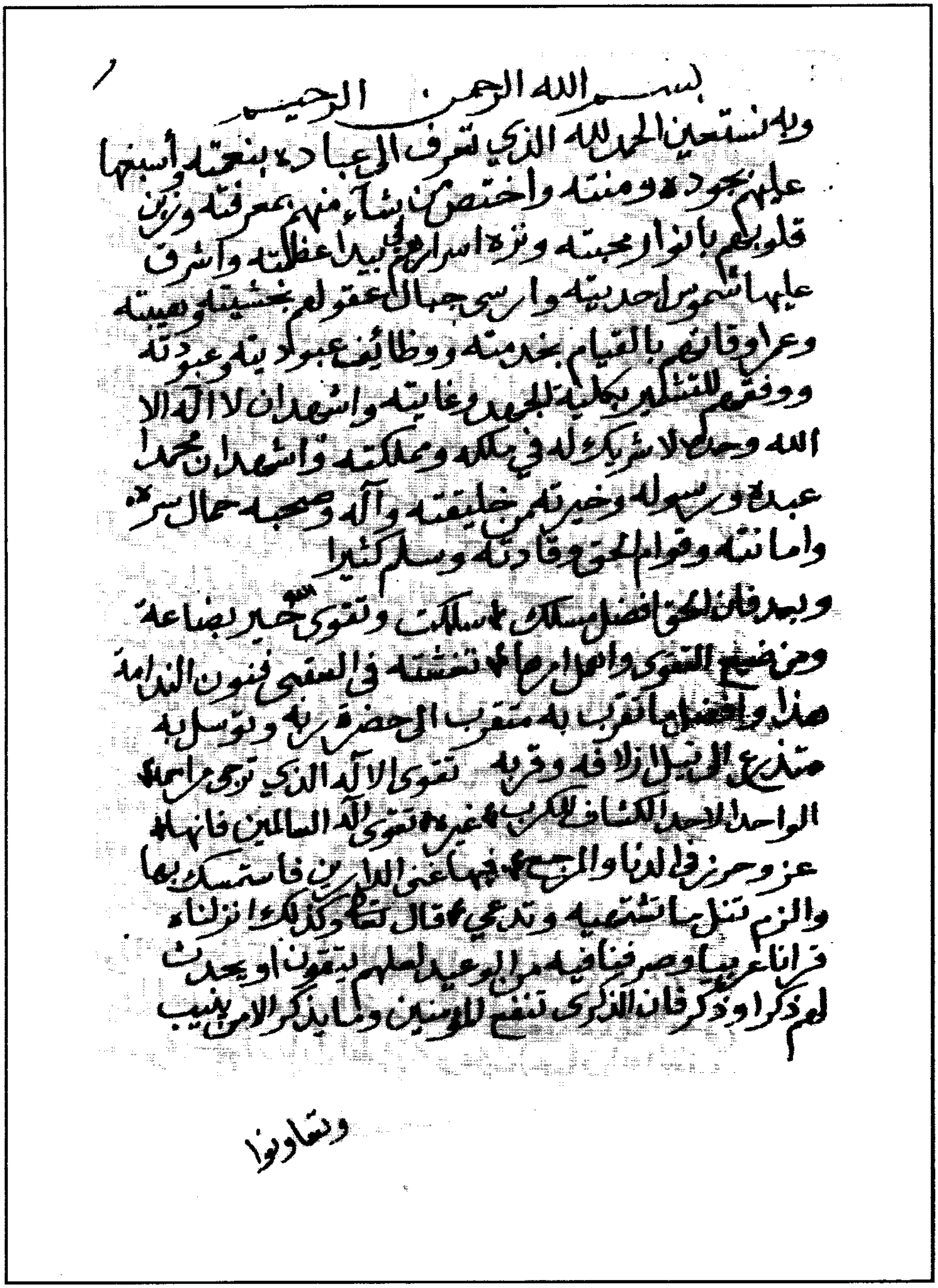
---

(١) في مطبوعة معجم الزبيدي: السحاوي، وهو تصحيف. نبّهني على ذلك أخي الأستاذُ محمد باذيب أمتعَ الله به.

(٢) «المعجم المختصّ» للزبيدي، ص٧٣٧.



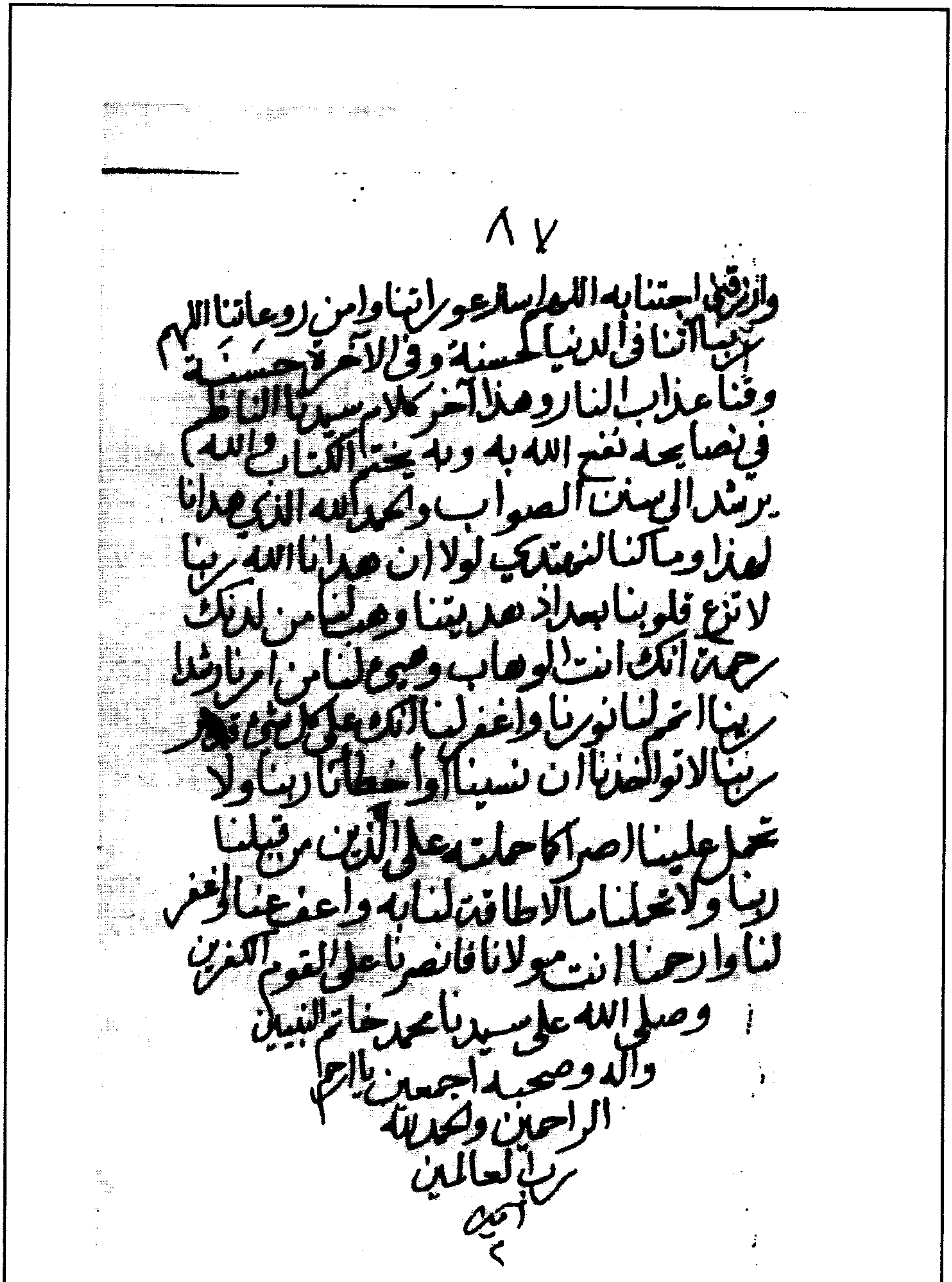
صورة غلاف مخطوطة الكتاب



بسم الله الرحمن الرحيم
وبه نستعين الحمد لله الذي تعرف الى عباده بنعمه وأسبغها
عليهم بجوده ومنته واختص من شاء منهم بمعرفته وزين
قلوبهم بانوار محبته ونزه اسرارهم في بيداء عظمته واشرق
عليها شموس احديته وارسى جبال العقول لخشيته وهيبته
وعرفهم بالقيام بخدمته ووظائف عبوديته وعبودته
ووفقهم للتبتل بكليته للجهد وغايته واشهد ان لا اله الا
الله وحده لا شريك له في ملكه ومملكته واشهد ان محمدا
عبده ورسوله وخيرته من خليقته وآله وصحبه حمال سره
وامانته وقوام الحق وقادته وسلم كثيرا
وبعد فان التقوى افضل مسلك سلكت وتقوى خير بضاعة
ومن ضيع التقوى واهمل امرها تغشته في العقبى فنون الندامة
هذا وافضل ما تقرب به متقرب الى حضرة ربه وتوسل به
متذرع الى نيل زلفه وقربه تقوى الاله الذي توحد باسمائه
الواحد الاحد الكاشف للكرب عن غيره تقوى اله العالمين فانها
عز وحرز في الدنيا والدين فيهما غنى الدارين فاستمسك بها
والزم تنل ما تشتهيه وتدعي قال تعالى وكذلك انزلناه
قرآنا عربيا وصرفنا فيه من الوعيد لعلهم يتقون او يحدث
لهم ذكرا وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين وما يذكر الا من ينيب

وتعاونوا

صورة الصفحة الأولى من مخطوطة الكتاب



٨٧

وارزقني اجتنابه اللهم استر عوراتنا وامن روعاتنا اللهم
ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة
وقنا عذاب النار وهذا آخر كلام سيدنا الناظم
في نصايحه نفع الله به وبه يختم الكتاب والله
يرشد الى سنن الصواب والحمد لله الذي هدانا
لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله ربنا
لا تزغ قلوبنا بعد اذ هديتنا وهب لنا من لدنك
رحمة انك انت الوهاب وهيئ لنا من امرنا رشدا
ربنا اتمم لنا نورنا واغفر لنا انك على كل شيء قدير
ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا او اخطأنا ربنا ولا
تحمل علينا اصرا كما حملته على الذين من قبلنا
ربنا ولا تحملنا ما لا طاقة لنا به واعف عنا واغفر
لنا وارحمنا انت مولانا فانصرنا على القوم الكافرين
وصلى الله على سيدنا محمد خاتم النبيين
وآله وصحبه اجمعين يا ارحم
الراحمين والحمد لله
رب العالمين
آمين
٢

صورة الصفحة الأخيرة من مخطوطة الكتاب

النفحةُ العنْـبَرية في الساعة السَّحَرية[1]

للإمام عبد الله بن علوي الحدّاد رضيَ الله عنه

يـا ربِّ يـا عالِـمَ الحـالْ إليـــكَ وجَّهــتُ الامــالْ
فـامنُنْ علينـــا بالاقبـــالْ وكــنْ لنــا واصلِحِ البـالْ

يـا ربِّ يـا ربَّ الاربــابْ عبْدُكْ فَقِـيرُكْ عـلى البـابْ
أتـى وقـد بَـتَّ الاسبابْ مُـستَدرِكاً بعـدَ مـا مـالْ

يـا واسعَ الـجُودِ جُـودَكْ الخـيرُ خـيرُكْ وعنــدَكْ
فــوقَ الــذي رامَ عبــدُكْ فـادْرِكْ بِرَحمَتِـكْ في الحـالْ

يـا مُوجِـدَ الـخَلْقِ طُـرّا ومُوسِـــعَ الكُـــلِّ بِــــرّا
أســألْكَ إســبالْ سَــترا عـلى القَبـائحْ والاخطـالْ

يـا مَــن يَـرى سِرَّ قلبـي حَسْبي اطِّلاعُـكَ حَسْبي
فــامْحُ بعَفْــوِكَ ذنبــي واصْلِحْ قُصُودي والاعمالْ

---

(١) القصيدة من البحر المجتثّ وهيَ تسير في كثيرٍ من أبياتها على اللهجة الحضرمية الدارجة، لذا التزمنا في ضبطها الوجهَ الذي تُنشَدُ به عند أهلها ولو خالفَ القواعد، فإنّ وزنها لا يستقيم إلّا على ذلك الوجه. وعلى ذلك أيضاً تجدُ نصَّ القصيدة الذي داخلَ الشرح. فلا تظنَّ ـ لـمّا تجدُ ذلك أيها القارئ الكريم ـ أنه من الخطأ في الإعراب!

ربِّ عليكَ اعتمادِي ... كما إليكَ استنادِي
صِدْقاً وأقصى مُرادِي ... رِضاؤكَ الدائمُ الحالْ

يا ربِّ يا ربِّ إنِّي ... أسألُكَ العَفْوَ عني
ولم يَخِبْ فِيكَ ظَنِّي ... يا مالِكَ المُلْكِ يا والْ

أشكو إليكَ وأبكي ... مِن شُؤم ظُلْمي وإفكي
وسوءِ فِعْلي وتَرْكي ... وشهوةِ القيلِ والقالْ

وحبِّ دُنيا ذَميمَهْ ... مِن كلِّ خيرٍ عَقِيمَهْ
فيها البلايا مُقيمَهْ ... وحشْوُها افاتْ واشغالْ

يا ويْحَ نفسي الغَوِيّهْ ... عنِ السبيلِ السَّوِيّه
أضْحَتْ تُرَوِّجْ عليّهْ ... وقصْدُها الجاهْ والمالْ

يا ربِّ قد غَلَبَتْني ... وبالأماني سبَتْني
وفي الحظوظِ كبَتْني ... وقيَّدَتْني بالاكبالْ

قدِ استعنْتُكَ ربِّي ... على مداواةِ قلبي
وحَلِّ عُقْدةِ كَرْبي ... فانظُرْ إلى الغَمِّ يَنْجالْ

يا ربِّ يا خيرَ كافي ... أحْلِلْ علَيْنا العَوَافي
فليسَ شَيْ ثَمَّ خافي ... عَلَيْكَ تَفْصِيلْ وَاجْمالْ

يـــا ربِّ عبــدُكَ ببابِــكْ يخـــشى ألـــيمَ عـــذابِكْ
ويَرْتَجـــــي لثوابِـــــكْ وغيْـــثُ رحمتِـــكْ هَطّـــالْ

وقـــد أتـــاكَ بِعُـــذْرِهْ وبِانْـكِـــسَارِهْ وفَقْـــرِهْ
فاهــزِمْ بيُـسْـرِكَ عُســرِهْ بِمحْضِ جُودِكْ وَالافضالْ

وامـــنُنْ عليـــهِ بتوبَـــهْ تغسِلْهُ مِـن كـلِّ حَوْبَـهْ
واعـصِمْهُ مِـن شرِّ أَوْبَـهْ لِكُـلِّ مَـا عَنْـهُ قَـدْ حَـالْ

فأنـــتَ مـــوْلى الـــمَوَالي الـمُنْـــفَرِدْ بـــالكمالِ
وبــــالعُلا والتّعـــــالي علَوْتَ عن ضَرْبِ الامثـالْ

جــودُكْ وفــضْلُكْ وبِــرُّكْ يُرجـى وبطْـشُكْ وقهْـرُكْ
يُخْشى وشُـكرُكْ وذِكْـرُكْ لازِمْ وحمْـدُكْ والاجْــلالْ

يــا ربِّ أنــتَ نَـصِيري فلَـــقِّني كـــلَّ خَــيرِ
واجعَـلْ جِنانَـكْ مَـصِيري واخْـتِمْ بـالايمانْ الاجـالْ

وصَـــلِّ في كـــلِّ حالَـــهْ عـــلى مُزيـــلِ الـــضّلالَهْ
مَـــن كلَّمَـتْـــهُ الغزالَـــهْ محمّـــدِ الهـــادِي الـــدَّالْ

والحمــــدُ لله شُـــــكْرا عـــلى نِعَـــمْ منــهُ تَـتْرى
نحمَـــــدْهُ سِرّاً وجَهْـــرا وبالغــــدايا والاصــــالْ

شرح قصيدة

يا رب يا عالم الحال

الكواكب الدرية في شرح الأبيات الحدادية
المسماة بالنفحة العنبرية في الساعة السحرية

تأليف

الامام العارف بالله محمد بن زين بن سميط

١١٠٨ - ١١٧٢هـ رحمه الله تعالى

اعتنى بتحقيقه

قسم البحث العلمي بدار الفتح

قرأه وقدم له

إياد أحمد الغوج

دار الفتح للدراسات والنشر

2 0 0 9

بسم الله الرحمن الرحيم

وبـهِ نستعيـن

الحمـدُ لله الذي تعرَّفَ إلى عبـاده بنعمته، وأسبغهـا عليهم بجوده ومِنّته، واختصَّ مَن شاءَ منهم بمعرفته، وزيَّن قلوبَهم بأنوار محبته، ونزَّهَ أسرارَهم في بَيْداءِ عَظَمتِه، وأشرق عليها شموسَ أحَدِيّـتِه، وأرسى جبالَ عُقُولهم بخَشيته وهَيبته، وعَمَرَ أوقاتَهم بالقيام بخدمته ووظائفِ عُبوديته وعُبُودَتِه[1]، ووفّقهم للتشمير بكلّية الجهدِ وغايـتِه.

وأشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَه، لا شريكَ له في مُلكهِ ومملكتِه، وأشهدُ أنّ محمّداً عبدُه ورسولُه وخِيرتُهُ من خلِيقتِه، [صلَّى اللهُ عليه][2] وآلِهِ وصحبِهِ حُمّالِ سِرِّهِ وأمانتِه، وقُوّامِ الحقِّ وقادتِه، وسلَّم كثيراً.

---

(١) مما قيل في الفرقِ بين العبادة والعبودية والعبودة أنّ العبادةَ: صدور أعمال البر من العبد بطلب الجزاء، والعبودية: صدور أعمال البر من العبد لله تعالى عارياً عن طلب الجزاء بل عملاً خالصاً لله تعالى، والعبودة: عبارة عن العمل بالله.
قال أبو علي الدقّاق رضيَ الله عنه: العبادةُ لأصحاب المجاهدات، والعبوديةُ لأرباب المكابدات، والعبودةُ صفة أهل المشاهدات، فمن لم يدّخر عنه نفسَه فهو صاحبُ عبادة، ومن لم يضَنَّ عليه بقلبه فهو صاحبُ عبودية، ومن لم يبخَلْ عليه بروحه فهو صاحبُ عبودة. انتهى من «الرسالة القشيرية» ص٣٤٤.

(٢) زيادةٌ لا بدَّ منها ليستقيم السياق.

[طويل]

وبعدُ، فـإنّ الحقَّ أفضـلُ مَسْلَكٍ ... سَلكْتَ، وتقوى الله خيرُ بِضاعةِ
ومَـن ضَيَّعَ التقوى وأهملَ أمرَها ... تغشَّتْـهُ في العُقْبى فُنونُ النَّدامةِ(١)

هذا، وأفضلُ ما تقرَّبَ به متقرِّبٌ إلى حضرةِ ربِّه، وتوسَّلَ به متذرِّعٌ إلى نَيل أزلافِهِ وقُربه: [بسيط]

تقوى الإلـهِ الذي تُـرجَى مَـراحِمُـهُ ... الواحِدِ الأحَدِ الكَشّافِ للكُرَبِ(٢)

غيرُه: [كامل]

تقـوى إلــهِ العـالَـمِينَ فـإنّهـا ... عِـزٌّ وحِـرْزٌ في الـدُّنى والـمَرْجِعِ
فيها غِنى الـدارَينِ فاستَمْسِكْ بها ... والـزَمْ تنَلْ ما تَشتهِيهِ وتـدَّعـي(٣)

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ ٱلْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا﴾ [طه: ١١٣]، ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الذاريات: ٥٥]، ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣] [١أ]، ﴿وَتَعَاوَنُوا۟ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ﴾ [المائدة: ٢]، ﴿وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ﴾ [العصر: ٣].

وقال رسول الله ﷺ: «اتق اللهَ حيثُما كنتَ»(٤).

---

(١) البيتـان للإمام عبد الله بن علوي الحدّاد رضيَ الله عنه، في ديوانه «الدر المنظوم»، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٧.
(٢) البيت للإمام عبد الله الحدّاد، في «ديوانه»، (القصيدة العاشرة من رَوِيِّ الباء)، ص٨١.
(٣) البيتان للإمام الحدّاد، في «ديوانه»، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٤.
(٤) جزء من حديث أخرجه الترمذي (١٩١٠)، وأحمد (٢٠٣٩٢)، وغيرهما، من حديث أبي ذرٍّ رضيَ الله عنه.

فلكَم وَعدَ سبحانَه ورسولُه على التقوى مِن خيراتٍ ودرَجات، وسَعاداتٍ وحسَنات، وصلاحٍ ونجاح، وفلاحٍ وأرباح، يَطول تَعدادُها، ويتعذر نَفادُها.

ثمَّ مِن جُملةِ التذكُّر والتذكيرِ والتعاونِ على البرِّ والتقوى، والتواصي بالحقِّ والصبرِ إنْ شاء الله: وضعُ تعليقٍ لطيف، وتنمِيقٍ ظريف، وكلماتٍ وَجِيزة، على القصيدةِ الفَريدة، المنظومةِ الحَميدة، المسمّاةِ: «النّفحةَ العنْبريّـة»[١]، لسيِّدِنا الشيخِ القُطبِ الغَوث، الفردِ الجامع، عبدِ الله بنِ عَلَويٍّ الحدّادِ عَلَوي، نفعَ الله به[٢].

ولْنجعَلْ ـ أولاً ـ مقدمةً تشتملُ على أحرُفٍ يَسيرة، ورَشفةٍ من بحارِ مناقبِهِ الغزيرة، وشمائلِهِ الكثيرة، الجمّةِ الغَفِيرة، التي لا تُـعَدُّ بالأقلام، ولا تُحصى مرَّ الليالي والأيام، ولا تُحصَرُ على كَـرِّ السنينِ والأعوام، وأنّى للدِّلاءِ أنْ تَغرِفَ البحار، أو للرِّكاءِ[٣] أن تَنزِفَ عُبابَها التيّار[٤]، وإنما ذلك ليكونَ فيها متعةُ المتمتِّع:

---

(١) قدّمنا النصّ الكامل لهذه القصيدة بين يدي هذا الشرح فتُنظر.

(٢) الإمام شيخ الإسلام، قطبُ الدعوة والإرشاد، العارف بالله والدالُّ عليه، الحبيب عبد الله بن علوي بن محمد الحدّاد باعلوي الحسيني التريمي. مولده بالسُّبَير قرب تريم سنة ١٠٤٤هـ، ووفاته بتريم سنة ١١٣٢هـ. وهو مجدِّدُ القرن الثاني عشر بحضرموت، رُزق قبولاً عند كافة الطبقات والأجناس في حضرموت وخارجها، في حياته وبعد مماته، وأملى مؤلفاتٍ نافعةً مفيدة، فإنه كان ضريراً، منها: «النصائح الدينية»، و«الدعوة التامة»، وغيرهما، وله ديوان احتوى على مفاهيم وأخلاق عالية، وكان يقول عنه: من كان عنده الديوان يكفيه. رحمه الله ورضيَ عنه. وللدكتور مصطفى البدَوي: «الإمام الحدّاد، مجدّد القرن الثاني عشر الهجري»، سيرتُه في مجلدَين. وفيما يأتي من كلام المؤلف مزيدُ بيانٍ لمكانة هذا الإمام الجليل.

(٣) الرِّكاء: جمع رَكوة، وهي الوعاء الذي للماء، وتُجمَعُ على رَكَوات بفتح الكاف.

(٤) التيّار: هو الموج.

[كامل]

ويكـونَ فيهـا للرُّبُوعِ وأهلِها أُنسٌ ونفعُ الطالبِ المتنَـفِّعِ[(١)]

فنقولُ:

[ترجمةُ الناظم: الإمام عبدِ الله الحدَّاد]

هو سيدُنا الأستاذُ الأعظَم، الزعيمُ المقدَّم، الإمام الـهُمام، الليثُ الضِّرْغام، الهِزبْـرُ القَمْقام[(٢)]، المتبوعُ القُدوة، الصَّفيُّ الصَّفوة، شيخُ أربابِ الطرِيقة، وعينُ أعيانِ أهلِ الحقيقة [١ب]، أحدُ أركانِ هذا الشان، وأجِلّاءِ الأكابرِ الأعيان، شيخُ الإسلام، وعَلَمُ العلماءِ الأعلام، قدوةُ العارفِين، ودليلُ السالكِـين، وكَعبةُ الوافدِين، وقِبلةُ المريدِين، ووِجهةُ القاصدِين، ذو الكراماتِ الخارِقة، والأنفاسِ الصادِقة، والهِمَمِ العَليّـةِ الفائقة، والعَزَماتِ السَّمِيّـةِ الرائقة، المخصوصُ بترادُفِ الكشوفاتِ اليقينية، وسُطُوعِ أنوارِ شُموسِ المشاهَداتِ الغَيبية، وتواترِ النفَحاتِ والجَذَباتِ الإلهية، والفتُوحاتِ والـمنُوحاتِ الوَهْبيـة، والتجلِّياتِ والأنوارِ الربّـانية، مَظهَرُ التنزُّلاتِ الرحَمُوتية، والمنازلاتِ الملكُوتية، ومَهبِطُ الأنوارِ الفَيْضِية، ومَخدَعُ الأسرارِ الأحَديّـة، ومَعدِنُ المجامِعِ الوَحدانية، مَن أظهَرَ الله على يدَيهِ فُنونَ العجائب، وأنطقَ لسانَه بأنواعِ الحِكَمِ الغرائب، وأُعطِيَ منَ التمكينِ الـمَكِيـنِ والرسوخِ في حقائقِ اليقين: ما لم يُعطَ غيرُهُ مِنَ الخَواصِّ العارفِين، والسادةِ الأقطابِ المقرَّبين، الغائصُ بالقرائحِ الفِكْريةِ في بحارِ الشريعةِ والطريقة، الراجعُ منها لَمجْناهُ جواهرُ الحقيقة،

---

(١) البيت للإمام الحدّاد، في «ديوانه» (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٣.

(٢) القَمْقام والقُماقِم من الرجال: السيّد الكثير الخير الواسع الفضل. «لسان العرب» (قمم).

ومكنونُ أسرارِها الدقيقة، الكارعُ مِن حِيَاضِ زُلالِ مِياهِ صِرْفِ اليقين، المتضلِّعُ مِن حُـمَـيّا[١] سلسبيلِ مُدَامِ محبّـةِ القويِّ المتين، المعترَفُ لهُ بغَزارةِ العلوم وبلوغ رُتبةِ رُتبةِ الإمامةِ فيها، مقدَّمُ الفرسان، وبُـهْـلُولُ[٢] الأقران، قُطبُ رَحى دائرةِ المعالي، وشمسُ ضُحى سماءِ العَوالي، يتيمةُ عِقدِ....[٣] وأبدالِـها وأوتـادِها، في أغوارِها وأنجادِها [٢أ]، القُطبُ الغَوث، الفردُ الجامع، عفيفُ الدِّين، وبَـرَكةُ الإسلامِ والمسلمين:

الشيخُ عبدُ الله بنُ عَلَويٍّ بنِ محمّدٍ الحدّادُ عَلَوي، نفَعَنا اللهُ به.

قال السيّدُ الجليلُ محمّدُ شِلّـيْه باعَلَوي[٤] في كتابِهِ «الـمَشْرَع»: اشتُهِرَ ـ كسَلَفِه ـ ـ بالحدّاد، الفائقِ على أمثالِه والأنداد، الذي شَيَّدَ رُبُوعَ الفضلِ وشاد، وبلَغَ نهايةَ السُّؤْلِ والمراد، ودَلَّ كثيراً منَ العباد، وهَداهم إلى سبيلِ الرَّشاد، وغَمَرَهُم بالأنوارِ والأمداد. إمامُ أهلِ زمانِه، الداعي إلى الله في سِرِّهِ وإعلانِه، المناضِلُ عنِ الدِّينِ الحَنِيفيِّ بقلمِهِ ولِسانِه[٥]، المشارُ إليه بالبَنان، في العلومِ والعِرفان، الغنيُّ عنِ

(١) حُـمَـيّا الكأس: إسكارها واشتدادها وأخذها بالرأس.

(٢) البُهْلول: العزيز الجامع لكل خير، والحييّ الكريم. «لسان العرب» (بهل).

(٣) كلمةٌ مطموسةٌ لم نتبيّـنْها.

(٤) العلّامة المؤرِّخ السيّد جمال الدين محمد بن أبي بكر بن أحمد الشلِّي باعلوي الحسيني المكّي، المتوفى المتوفى سنـة ١٠٩٣هـ. و(شلّيه) لقبُـه الأصليّ، ومع الزمن صار (الشِّلِّي). وكتابـه «المشرَع الرَّوي» ـ الآتي النقل منه ـ هو العمدة في تراجم أعلام السادة آل باعلوي، وقد طبع في مصر ثم في جدة.

(٥) هذه العبارة اقتبسها الشلِّي من كلام الإمام تاج الدين السبكي في مدح أبيه شيخ الإسلام تقي الدين السبكي، في ترجمته من «طبقات الشافعية الكبرى» ١٠: ١٤٠. (إياد).

وُلِدَ رضيَ اللهُ عنه بمدينة تَرِيمَ في صفرِ الـخَير سنة (١٠٤٤) أربعٍ وأربعينَ وألف، فحفِظَ القرآنَ العَظِيم، ولَـحَظَـتْـهُ عنايةُ ربِّه الكريم، وشَمَّرَ عن ساقِ الجِدّ، وبذَلَ الاستطاعةَ والجُهْد، في اقتناصِ سائرِ العلوم، بشَبَكاتِ الفُهُومِ الذكيّـة، والعقولِ الزّكيّـة، مِنَ التفسيرِ والحديث، والتصوُّفِ والكلام، والسِّيَرِ والتواريخ، واللغةِ والتجويد، والنحوِ والتصريف، والمعاني والبيان، والمنطِق، والعَـرُوض، وسائرِ الفُـنُونِ منَ العلومِ الشرعيّة، والأدواتِ الأدبيّـة، فأبلى في ذلك وأطنَب، وجَمَعَ وأسهَب، وأخذَ العلومَ مِن مَعدِنِها، واقتَبَسَها مِن مَوطِنِها، واستخرَجَها مِن مَظانِّها، واستَمَدَّ [٢ب] أنهارَها، واستخرجَها مِن بحارِها، وهِيَ كلماتُ الله التي لو كانَ مِدَادُها البحار، وأقلامُها الأشجار: لَـنَفِدَتْ قبلَ أنْ تَنفَدَ كلماتُ ربّي ولو جِيءَ بمثلِها مَدَداً: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ﴾ [لقمان: ٢٧].

وسمعتُ سَيِّدي أحمدَ(١) نفَعَ اللهُ بِهِ يقول: ما نُقدِّمُ كلامَ أحدٍ على كلامِ شيخِنا عبدِ الله بنِ عَلَوي الحدّاد نَفَعَ اللهُ به، إلّا ما كانَ مِن كتابٍ وسُنّـة، لكونِ عُلُومِـهِ مستمَدّةً منهما، ومعانيهما قد رسَخَتْ في قلبِهِ، ورَسَتْ في باطنِه.

وسمعتُه يقول: سألتُ سَيِّدي عبدَ الله بنَ عَلَويّ الحدّادَ عن مسألةِ الكسْبِ الواقعةِ في علم الأصولِ والكلام، فقال لي: يا أحمد، إنّ اللهَ أطلَعَني على مَساقي الخَلْق، فأُرِيتُ أصولَ الوصول، وهذه المسألةُ متّصلةٌ بالذَّوق، ولا يَـكمُلُ التعبيرُ عنها بحقائقِ الحقّ، وقد قيل: لا يَكمُلُ العِلمُ إلا في الدارِ الآخرة.

---

(١) يعني به العلّامةَ العارفَ بالله الحبيبَ أحمدَ بن زين الحبشي رضيَ الله عنه، مقدَّمَ أصحاب الإمام الحدّاد وأجَلَّهم.

وقال في كتابِهِ «الـمَسْلَكِ السَّوِيّ»[١]: كانَ رضيَ اللهُ عنه في العلومِ والمعارفِ والحقائقِ واللطائفِ: البحرَ الذي لا ساحِلَ له، بلَغَ رُتبةَ الإمامةِ والاجتهادِ في علومِ الإسلامِ والإيمانِ والإحسان، وهُوَ الـمُجدِّدَ لأهلِ هذه العلوم لأهلِ هذه الأزمان. وذلك مِن حيثُ طريقُ الظاهرِ جَليّ، ومِن حيثُ الباطنُ يَعرِفُه أهلُ ذلك المقام العَلِيّ.

وسُئلَ رضيَ اللهُ عنه عن مَذهبِه، فأرادَ أنْ يقول: مذهَبي الكتابُ والسُّنة، فأمسَكَ خَشْيَةَ الإنكار، فقال لهُ رجلٌ مُكاشِف [٣أ]: لِـمَ لا تقولُ الذي في نفسِك؟ قُلْ: مذهَبي الكتابُ والسُّنّة. فقال سيِّدي: إنّ هذا الذي كاشَفَني هُوَ الـخَضِر.

وكانَ رضيَ اللهُ عنه يَتكلّمُ على مقالاتِ العلماء، وأحوالِ الأولياء، ويُبدِي ما فيها مِنْ صوابٍ أو غيرِه، ويَتكلّمُ عمّا عنه جواب، ويَرُدُّ ويُصوِّبُ ما فيها مِن خطإٍ وصواب. ويتكلّمُ على الأحاديثِ النبويّة، والآياتِ القرآنية، بالكلام الـحَسَنِ العُجَاب، ممّا لا يُوجَدُ في كتاب، مِن حيثُ العُلُومُ الشرعية، والفُهُومُ اللَّدُنّية، ممّا تَقَرُّ بهِ العُيُون، ولا وقَعَ في الأفكارِ والظّنون، مِنَ السرِّ الـمَصُون، والعِلمِ الـمَضْنون، على أهلِ العقولِ والظّنون.

وبعدَ أنْ تَكَلَّمَ رضيَ اللهُ عنهُ في كتابهِ «إتحافِ السائل»[٢] على علُومِ التوحيد، وحقَّق ودقَّق، قال: ولولا اندِراسُ الطريق، وأُفُولُ أنوارِ التحقيق، لكنا نأتي مِنْ ذلك بالعَجَبِ العُجَاب، فتذكَّروا يا أولي الألباب.

---

(١) واسمه الكامل: «المسلك السوي في جمع فوائد مهمة من المشرع الروي»، وقد طبع بحضرمَوت بتحقيق الأستاذ السيّد عبد الرحمن بن طه الحبشي.

(٢) اسمه الكامل: «إتحاف السائل بجواب المسائل» للإمام الحدّاد، وهو مطبوع.

وقال: إنّ عندَنا علوماً ما لقينا لها متلقّياً، وإنّما مثَلُنا كمثَلِ رجلٍ تاجرٍ نزَلَ على بعضِ البنادِرِ[١] أو البُلدان، فجاء التجّارُ ليَشتروا منه، فأخرجَ لهم دَنيَّ القُماشِ والبضائع فلم يُوصِلُوا فيه قِيمةً، فأمسَكَ على بَقِيّةِ ما مَعَهُ منَ القماشِ والبضائعِ حيثُ لم يُعطُوا في الدَّنيِّ قيمةً.

وقال في بعض مكاتَباتِه، بعدَ كلامٍ على شيءٍ مِنْ حقائقِ المعارف ودقائقِ اللطائف: فاعلَمْ أنّا لو أرَدْنا أنْ نُطلِقَ الأعِنّـةَ ونُجريَ خَيلَ السِّباقِ في هذا الميدان، كُنّا لا نَقدِرُ على ذلك؟! بلى، ولكنّ الأمرَ اقتضى المنعَ [٣ب] مِن ذلك، وهُوَ: إعراضُ الناس، واشتغالُهم بما هم فيهِ.

وقال السيّدُ محمّـدٌ المتقدِّمُ ذِكْـرُه[٢]: ثُم أظهَرَهُ اللهُ بَدْراً مُشرِقاً استنارتْ بهِ حَنَادِسُ[٣] الجهل، وشمساً مضيئةً زُيِّنَ بها سماءُ الفضل، ونَصَّبَ نفْسَهُ لتربيةِ المريدِين، وإرشادِ السالكين، فقصَدَه الناسُ مِن أكثرِ الأمصار، ونفَعَ اللهُ بهِ في غالبِ الأقطار، وأخذَ عنه الجَمُّ الغَفِير، وصَحِبَهُ الكبيرُ والصّغِير، وتخَرَّجَ بهِ الجمهُورُ الكثير، وأفاضَ عليهم مِن بُحُورِ فضْلِه الفوائدَ والفرائد، وجَلَا لهم عرائسَ الخَرائد. انتهى.

فمِن كلامِه رضيَ اللهُ عنه: إنّ الذينَ تَبِعُونا وانتَـفَعوا بنا أكثرُ ممّن تَبِـعَ وانتفع بفلانٍ وفلان ـ وذكرَ اثنينِ مِن أكابرِ الصِّدِّيقينَ العارفينَ مِن آلِ أبي عَلَوي لا حاجةَ في ذكْرِهم.

---

(١) البنادر: جمع بندر، ليست عربية، ومعناها: مكان السوق أو حيث يجتمع التجار.

(٢) يعني به: الشلّي صاحبَ «المشرع الرويّ».

(٣) الحنادس: جمع حِنْدِس: وهو الليل الشديدُ الظلمة. «لسان العرب» (حندس).

وقال أيضاً عندما ذُكِرَ عندَه بعضُ العارفينَ المحقِّقينَ مِن أهلِ عصرِه: إنَّ فلاناً لا يَنتَفِعُ بِهِ أصحابُهُ كثيراً لكونِه في النهايةِ وهُم في البداية، وأمّا أنا فينتَفِعُ بيَ الجميعُ لكوني أتنزَّلُ لهم بحَسَبِهم.

وقال: الحمدُ لله الذي أعطانا مِنَ التنـزُّلِ للخَلْقِ على قدْرِ مَراتبِهم ما لم يُعْطِ أحداً من أهلِ هذا الشان؛ لأنّ مَن كَمُلَ منهم قابَلَ الكونَ كلَّه: مِنَ العَرشِ إلى الفَرش، فمنهم مَن يبقى في العُلُوّ، فلا يُراهُ الناسُ إلّا هناك، ومنهم مَن يَبقى في السُّفْلِ فلا يُرى إلّا هناك، فيَحصُلُ لهم بهم الاغترارُ والتلبيسُ لِغالِبِ الناس، ومنهم مَن يَبقى يتصرَّفُ في الأحوالِ كلِّها، فيَتخلَّـقُ للناسِ بحَسَبِ أحوالِهم، فيَحصُلُ بِهِ النفْع. ونحنُ بحمدِ الله [٤أ] مِن أهلِ هذا الصِّنْفِ الثالث.

وقال: لو أقبَلَ علينا جميعُ أهلِ العصر: صغيرُهم وكبيرُهم، ذكَرُهم وأُنثاهم، لانتفَعُوا بنا ظاهراً وباطناً، في دينِهم ودُنياهم، في عاجِلِهم وآجِلِهم. وإنّ أُناساً بالمغربِ ونحوِه، أرواحُهُم عندَنا وأجسامُهم هناك، وإنّ أُناساً بالعكس مِن ذلك.

وراَهُ بعضُ العارفينَ في المنامِ يقول: إنّ اللهَ أعطانا جميعَ ما يُوصِلُ بِهِ الخَلْقَ إليه، ولكن ما ثَمَّ منهم إقبال. فلمّا استيقَظَ وأخبَرَهُ قال: والأمرُ كذلك.

وقيلَ لهُ: كيفَ أنتَ يا سَيِّدي؟ فقال: كيفَ أنا؟ أنا النِّعمةُ المكفُورة!

فمِن ذلكَ: أنه أخذَ عنه جميعُ قبائلِ السادة آلِ أبي عَلَوي ولم يَبْقَ منها واحدٌ إلّا وأخَذَ عنهُ منها أحدٌ، ولم يَتّفِقْ هذا لأحدٍ مِن أسلافِهِ: آلِ أبي عَلَوي وغيرِهِم، نفَعَ اللهُ بهم. وكذلك أخَذَ عنهُ جميعُ القبائل غيرَ آلِ أبي عَلَوي ولم يشُذَّ منهم إلّا

مَن شذَّ عن طريق الهدى وسلكَ سَنَنَ الرَّدى.....[١] ودخَلَ في طريقِ الطائفةِ الصُّوفيةِ رضيَ اللهُ عنهم وظفِرَ بعُلُومِهِمُ السَّنيّـة، وغاصَ في بِحارِها العميقة، وخاض لُـجّـتَها الغَرِيقة، وجَنى ثمارَ جِنانِـها العَذِيقة.

ومِن كلامِه رضيَ اللهُ عنه في ذلك: إنّ علمَ التصوُّفِ قد طُوِيَ بِساطُه، ولكنْ أُذِنَ لنا في نَشرِه.

وقال: إنّ الشيخَ عبدَ القادرِ الجيلانيَّ[٢] نُشِرَ لهُ بِساطٌ فجَلَسَ عليه، ثُم طُوِيَ ذلك البِساطُ إلى زَمَنِ الشيخ عبد الله العَيْدَرُوسِ[٣] فنُشِرَ لهُ فَجَلَسَ عليه، ثُم طُوِيَ، ثُم نشِرَ لنا وزِيدَ، فجَلَسْنا عليه، ثُم يُطوى [٤ب] فلا يَـجلسُ عليه أحدٌ إلّا إنْ بَقِيَ مَن يُستَحى منه.

وقال: ليسَ لنا مُنازعٌ في هذهِ الطّريق، وهل رأيتُم لنا منازِعاً؟ قيل: لا يا سَيِّدي. قال: ولا نُـزُوعَ إلى الدنيا إلّا إلى اثنَين: الحـرَمَيْنِ الشريفَيْن، والاجتماعِ بأحدٍ مِن أهلِ الذَّوق.

---

(١) هنا سقطٌ وقع فيه الناسخ، لأنّ ما قبل هذا الموضع لا يتناسب مع ما بعده، والله أعلم.

(٢) عَلَم الأولياء الشيخ أبو محمد عبد القادر بن أبي صالح الجيلاني الحنبلي البغدادي (٤٧١-٥٦١هـ)، الوليُّ الذي طبَّقت شهرتُه الآفاق. قال سلطان العلماء العز بن عبد السلام: ما نُقلت كراماتُ أحدٍ بالتواتر إلا الشيخ عبد القادر.

(٣) العيدروس الأكبر: الإمام السيد عبد الله بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف، وهو أول مَن سُمِّيَ بالعيدروس. مولده بتريم سنة ٨١١هـ وبها وفاته سنة ٨٦٥هـ عن ٥٥ سنةً. اتفق أهل مِصْره على فضله وأسبقيته، وشيّخوه بعد وفاة عمّه الإمام عمر المحضار. أفرد سيرته بالتأليف غيرُ واحد، منهم: السيد عمر بن عبد الرحمن صاحب الحمراء باعلوي، وجمع بعضَ كلامه ودرر لفظه ووصاياه السيّد محمد بن علي مولى عيديد. رحمَ الله الجميع.

وقال: إنّ اليَدَ لنا في هذا الأمر مِن أربعةٍ مِن أهلِ البَرْزَخ: الشيخِ الفَقِيهِ المقدَّم، والشيخِ عبدِ الرحمنِ السَّقّاف[١]، والشيخِ عمرَ الـمِحْضار بنِ عبدِ الرحمن[٢]، والشيخِ عبدِ الله بنِ أبي بكرٍ العَيْدَرُوس، وأمّا الآنَ فاليَدُ لنا مِنَ النبيِّ ﷺ بلا واسطة.

وقال نفَعَ اللهُ به: إذا أشكَلَ عليَّ الحديثُ أخذْتُـهُ مِن رسولِ الله ﷺ بلا واسطة.

وقال رضيَ اللهُ عنه: ما دَخَلْنا في هذا الطريقِ إلّا بالمواثيقِ والعهود: ألّا تكونَ لظالمٍ علينا يَدٌ.

وقال رضيَ اللهُ عنه: بايعتُ الشيخَ عبدَ الله بنَ أبي بكرٍ العَيْدَرُوسَ، أخرجَ لي يَدَهُ منَ التابوت.

وأخذَ رضيَ اللهُ عنه علومَ الصُّوفيّـةِ عن أشياخِهم وأكابِـرِهم مِنَ الـجُمُوعِ التي لا تُعَدّ، ولا تُحصى ولا تُـحَدّ، مِن أهلِ البيتِ النبويِّ المصطفَوِيّ، وغيرِهم مِن أكابرِ السادات، والأئمةِ القادات.

---

(١) شيخ الشيوخ، الإمام عبد الرحمن السقاف بن محمد مولى الدَّوِيلة بن علي بن علوي الغيور بن الفقيه المقدَّم. مولده بتريم، وبها وفاته سنة ٨١٩هـ عن ثمانين عاماً. من أكابر الأولياء، قيل: إنه كان لا ينام لا ليلاً ولا نهاراً! فسُئل عن ذلك فقال: كيف ينامُ مَن إذا نام على جنبه الأيمن رأى الجنة، أو الأيسر رأى النار؟! وكان يختم القرآن ثماني ختمات! أربعاً بالنهار وأربعاً بالليل، وهذا من عجائب الاستغراق في القرآن، رضيَ الله عنه.

(٢) الوليُّ المنوَّر، شامة مِصره في وقته، الشيخ عمر المحضار ابن الإمام عبد الرحمن السقاف الحسيني التريمي. ولد بتريم وبها توفي ساجداً في صلاة الظهر في الثالث من ذي القعدة سنة ٨٣٣هـ. وله المناقب الجليلة والكرامات الباهرة، رضيَ الله عنه.

وسُئِلَ رضيَ اللهُ عنه عمّن أخذَ هو عنه مِنَ المشايخ فقال: اعلَمْ أنّا قد لَقِينا وأخَذْنا عن خَلْقٍ كثيرٍ وجماعةٍ يَطُولُ عَدَدُهُم، مِن آلِ أبي عَلَوي وغيرِهم، ممّن أدركْناهُ بتريمَ وجهةِ حضرموتَ ونواحِيها، وممّن لَقِيناهُ حالَ سَفَرِنا إلى الحجِّ بالحَرَمَيْن واليَمَن، الظاهرُ لو عدَدْناهم ربّما يزيدونَ على المئة: ما بينَ عالمٍ وعارفٍ وأخٍ صالح، وأخَذْنا علمَ الظاهرِ عن أهلِه [٥أ]، ثُم أخَذْنا علومَ الطّريقةِ عن جماعةٍ مِن أهلِها مِن بَينِ ظاهرٍ وخامل.

وقال في «المَسْلَكِ السَّوِيّ»: وأمّا المجاهدةُ والعبادةُ فهُوَ مقدَّمٌ فرسانِها، وبُهْلُولُ(١) أقرانِها، لم يُعرَفْ أنه صلَّى الخمسَ منفرِداً، ولا غيرَ أوّلِ الوقت، ولا استعجَلَ في صلاتِه، ولا ترَكَ قيامَ الليل.

وكان رضيَ اللهُ عنه شديدَ الاهتمام بما يُصلِحُ المسلمينَ في مَعادِهِم ومَعاشِهِم، سليمَ الصَّدرِ لهم، قويَّ الصّبرِ عليهم، ليِّنَ الجانب، مخفُوضَ الجناح، سَهْلَ الأخلاق، واسعَ الاحتِمال، مَكِينَ الحِلْم، مُعامِلاً بالعلم، خَلِيقَ المجالسة، يظنُّ جليسُه أنه أحبُّ الناسِ إليه، ولهُ ـ معَ ذلك ـ هيْبةٌ عظيمةٌ في القلوب، حتى أنه في بعضِ الأحوال يكادُ ينفطرُ قلبُ جليسِهِ منَ الهيْبة، لا لشيءٍ يظهرُ منه، ولكنْ لهَيْبَةِ الوِلاية. وإذا نزَلَ في بعضِ الأحيانِ لِمُجالِسِهِ يحصُلُ لهُ أُنسٌ لا يَكادُ يحصُلُ معَ مجالَسةِ غيرِه. انتهى.

وقال: إنّ اللهَ تعالى إذا شاء جَلَّلَنا بالهَيْبَة، وإلّا فما نحنُ إلّا مِن أهلِ الجمال.

وقال عندَما خجِلَ رجلٌ مِن هَيْبَتِه: إنّ لله عباداً إذا جَلَسَ عندَهم خَمُولُو العُقُولِ سَلَبوا عُقُولَهم. قيل لهُ: أجَلْ، أنتَ منهم، فتبسَّم ضاحكاً. وقيل لهُ: إنّا

(١) تقدّم شرحُها ص٢٧. وفي الأصل: بهلوان!

نريد أن نرى النَّعشة والـمظْهر في الأصحاب، فقال: ما زلنا: ما لأحدٍ وجود،
وما للنجوم معَ الشمسِ وجود.

وقال يوماً: بعدَ أن نخرُجَ منَ الدُّنيا يموتُ الإنسانُ أسَفاً علينا حيثُ لم يَبلُغْ جُهدَهُ فينا. وأُنشِدَ بينَ يَدَيهِ للفقيهِ بامَـخْرَمة[1]، ثُم أخَذَ الحاضرونَ في الثناءِ على الفقيه، فقال: إنَّ بينَ أظهُرِكم [٥ب] مَن لو حضَرَ أبو مخرمةَ لَقبَّـلَ قدَمَه!

وقال: ما نَغبِطُ أصحابَ رسُولِ الله ﷺ إلّا على الصُّحبة، ولو أدركْناهُ لكنّا مِن أسبَـقِهم.

وقال في «الـمَسْلِك» أيضاً: وكان رضيَ اللهُ عنهُ في الجُودِ والسَّخاءِ والإحسانِ ليس له مِثْـلٌ ولا ثانٍ، ولا نَظِيرَ لهُ في تَفقُّدِ القَرابةِ والأصحابِ والجِيران، لا يَدخُلُ عليه شيءٌ منَ الفُتُوحِ إلّا ويُخرِجُ في هذه المواضع، مِن قريبٍ وشاسع. وكانَ لا يَنفَكُّ عن بَيتِـهِ السُّؤّالُ والضِّيفان، ولا بعضَ يوم، وقال: ما أُبالي لو أنْ كانَ أهلُ تَرِيمَ عِيالي إذا قَـنَعوا بحالي.

وكان في الزُّهدِ في الدُّنيا والتوكُّلِ على الله في أعلى غاياتِه، لا يُبالي بإقبالِ الدُّنيا وإدبارِها، بل يَظهَرُ عليه التكدُّرُ مِن إقبالِـها ويُبادِرُ بالإنفاق، ويُوسِّعُ في

---

(١) الشيخ عمر بن عبد الله بن أحمد بامخرمة (٨٨٤-٩٥٢هـ)، من أعيان حضرموت، عالمٌ فقيهٌ صوفيٌّ شاعر، صاحب مواجيد وأذواق. له ديوانٌ بديع باللهجة الحضرمية، ويُعدُّ الشاعرَ الشعبيَّ الأول في حضرموت. من مؤلفاته: «وِرد الوارد القدْسي من معنى آية الكرسي»، وغيرُه. وهو والد عبد الله بن عمر بامخرمة مفتي حضرموت الكبير.

إدخال الأرفاق(١)، عكسَ ما الناسُ عليه. وكان في رفضِه لِشَهَواتِ الدنيا بالمقامِ العالي، حتى كأنه رُوحانيٌّ لا بَشَريّ، وكان يقول: لي سنينُ كثيرةٌ لا أشتهي القوتَ والطعام، إنّما آكُلُ بحَسَبِ الموافقةِ لا الطبع. ولعلّه أرادَ موافقةَ الشرع. وعاشَ بعدَ هذا الكلام ما يُنِيفُ على ثلاثينَ سنةً. وكان قليلَ النوم، ولا يكادُ ينام.

وكان رضيَ اللهُ عنه، عندَ حُدُوثِ الحوادثِ الـمُزعِجة، جَبَلاً راسياً لا يكادُ يَظهرُ عليهِ أثَـرُ هذا في الحوادثِ الخارجة. كذلك كانَ في غايةِ التمكينِ عند طُـرُوقِ الأحوالِ الباطِنة، فلا تُحرِّكُـهُ رِياحُ الأهوال، ولا تَستَـفِزُّهُ طوارقُ الأحوال، لِثبوتِ أُصُولِ شجرةِ يَـقِيـنِه، وعُلُوِّ مَراقي فروعِ عِرفانِه وتمكِينه.

وكانَ شديدَ الخوفِ لله والخوفِ منهُ، غَزِيرَ الدَّمعة، وهذا مُقتضى [٦أ] التحقُّق بالمعرفةِ والمحبّةِ لله، الـمُسلتزِمةِ للخوفِ والإشفاق: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ [فاطر: ٢٨].

وكانَ يقول: مذهَبُنا مذهَبُ السّلفِ الصالحِ في كلِّ شيءٍ إلّا ما سِرْنا فيهِ بسَيْرِ أهلِ الزمانِ لِعُذْرٍ، إنْ وُجدَ ذلك، فلْيُعلَمْ. وربّما يَستثـقِلُ بعضُ الناسِ ما يَرى ويَسمَعُ مِنَ الظّهور، إنّما نحنُ مِن أهلِ الخمولِ قصْداً ووقوعاً بالنسبةِ لحالِنا، ولو كان لنا قصدٌ في الظهورِ لكان أمراً لا تَسَعُهُ العقول.

وكانَ يقول: أُبغِضُ الجاهَ والصِّيْتَ طبعاً وجِبِلّة. ومِن أشهى الأحوالِ عندي السِّياحةُ في البَراري والقِفَار، وذلك هو مطلوبي ومقصُودي، ولكنْ مُنِعْتُ مِن ذلك لِيَنتفعَ بيَ الناس، وبخْتُهم بي خيرٌ مِن بَخْتي بهم.

---

(١) الأرفاق: المنافع.

وقال: لو أردْنا الظهورَ العاديَّ لَـمَا بقِيَ لأحدٍ وجودٌ البتة.

وقال لبعضِ أصحابِه: لا تَـخَفْ مِن أهلِ تَرِيم، إنّهم في القبْضة.وقال: لو شِئنا لقُلنا: جميعُ ما يفعَلُهُ أهلُ تَرِيمَ منَ الحسَنات في صحائفِنا، لكونِنا الدَّرْبَ الخارِجيَّ عليهم.

وقيل لهُ: متى بلَغْتَ هذا الحالَ وهذا المقامَ؟ فقال: إنّما هيَ مَواهِب.

وشُكِيَ إليهِ مِن رجُلٍ ذي مَرتَبـةٍ فقال: أعَزلْناه. فعزَلَه والي الأمرِ في الحال، ثُم إنه رُئِيَ لهُ فقال: أقَمْناه، فرُدَّ إليها.

وكانَ يقول: إنّ الخاطرَ عندِي مثلُ الصِّياح، والخَواطِرُ مثلُ الرُّطَبِ في الطّبَق.

وسأَلَ رجلاً عن أحوالِهِ وفَـتَّشَ عنها ثُم قال: نحن أعرَفُ به، وعندَنا مِرآةٌ نَنظُرُ بها الباطنَ، ولكنّا نريدُ شاهداً شرعياً، وقال: بحَسَبِ ما يقفُ عندَنا الرجلُ نَعرِفُ ما في باطِـنِه. وقال: إنّي موعودٌ أنْ أُوصِلَ إلى الله أربعينَ ـ أو قال: ثلاثين ـ ممّنِ اسمُهُ عمَر.

ووقفَ على مَقبَرةٍ وقال: إنّ مُعذَّبي أهلِ هذه المقبرةِ قليل.

وقال: إنّ أصحابَنا ماسومين[١].

وقال: إنّ عندَنا مِنَ الرجاءِ وحُسنِ الظنِّ بالله ما لو ظهَرَ منهُ سَمُّ إبرةٍ[٢] للناس لَتَركوا العملَ!

---

(١) لفظةٌ باللهجة الحضرمية، بمعنى: مَوسُومِين، من السِّمَة.

(٢) السَّمّ: الثقب.

وقال: إنّا نقبَلُ الحقَّ ولو مِن عبدٍ أسودَ مُفلْفَلِ الرأس، ومعَ ذلك [٦ب] نَجعَلُ الرَّمادَ على رؤوسِنا.

وقال: لو عَلِمْنا عندَ أحدٍ مسألةً ليست عندَنا لَسَعَيْنا لها ولو إلى مكانٍ بعيد.

وقال: إنّ لي نَفْساً كالنفُوس ولكنْ لا تقومُ إلا بحقّ.

وقال السيِّدُ العارِفُ بالله عمرُ بنُ عبدِ الرحمنِ العطّاسُ[1]: إنّ السيّدَ عبدَ الله الحدّادَ ثوبٌ طُوِيَ ونُشِرَ لأهلِ هذا الزمان، وهُوَ مِن أهلِ القرنِ الرابع. ولـمّا بَلَغَ سيِّدَنا كلامُ الشيخِ عمرَ قال: لولا الأدبُ لقُلْنا: مَن القرنِ الأول، ولكنْ نحنُ مِن أهلِ القرنِ الثاني.

وقال أيضاً فيه: إنه قائمٌ مَقامَ ثلاثةِ أقطاب.

هذا، وبينَ وفاتِهما نحوٌ مِن ثلاثٍ وستينَ سنة.

وقال بعضُ العلماءِ الـمُحقِّقينَ فيه: إنّه صاحبُ الوقت، وكلامُه دالٌّ عليه.

وقال بعضُ العارِفينَ الـمُكاشَفِينَ مِن آلِ أبي عَلَوي: عليكم باثنَـيْن: منَ الأمواتِ: الفقيهُ المقدَّم[2]، ومنَ الأحياءِ: «الصَّيدُ كلُّ الصَّيدِ في جَوفِ الفِرا»: السيّدُ عبدُ الله الحدّاد.

---

(١) هو السيد الجليل أحد أكابر صلحاء عصره عمر بن عبد الرحمن بن عقيل العطاس، مولده بقرية اللِّسْك ـ شرقيَّ تريم ـ سنة ٩٩٢هـ ووفاته بحُريضة سنة ١٠٧٢هـ. أخذ وتخرّج بشيخه الحسين بن الشيخ أبي بكر بن سالم، وأخذ عنه الإمام الحدّاد. أفرده الحبيب علي بن حسن العطاس بالترجمة في كتابٍ كبيرٍ من مجلدين سمّاه «القرطاس».

(٢) الإمام الكبير، شيخ الشيوخ، ومَنْ تُنسب إليه طريقة السادة آل أبي علوي، محمد بن علي بن محمد، الملقّب بالفقيه المقدَّم (٥٧٤-٦٥٣هـ)، أحد أكابر الأولياء وصدور العلماء. قبره بمقبرة بشّار بـ(تريم)، ترياقٌ للقاصدين، رضيَ الله عنه.

وقال سيِّدُنا الشيخُ أحمد في «الـمَوارِدِ الـهَـنِـيّـة»(١) بعدَ ذِكْرِه لشيءٍ مِن عَزائِمِه وجِدِّه وتَشمِيرِه: وليسَ ذلك بالعجيبِ منه؛ لأنه قد حازَ قَصَبَ السَّبْقِ في جميع مَقاماتِ الدِّين، ولم نَـرَ ولم نَسمعْ مثلَ حالِهِ ومَقامِه، فإنه، نفعَ اللهُ به، على القَدَمِ النبَويِّ المحمَّدِيِّ في جميعِ عباداتِه وعاداتِه، ولهُ الوِراثةُ مِن جَدِّه ﷺ.

وقال فيه: إنه كاملٌ مِن حيثُ بَشريّـتُه، وأمّا خصوصيّـتُه فلا نَقدُرُ قدْرَها.

وقال أيضاً في كتابه «سبيلِ الرُّشدِ والهداية»(٢) بعدَ أنْ ذَكَرَ فضيلةَ الدّعوةِ مِنَ الكتابِ والسُّنّـة: ثُم إنّ ممّن تحقَّقَ بهذه الأخلاقِ القرآنية [٧أ]، والشمائلِ السَّنية، حتى فازَ بالخلافةِ المحمّديّة، والأسرارِ الأحمديّة، وتحقَّقَ بصِدقِ الوراثةِ العَلِيّـة، فأَثبَتَ النِّسبةَ الشرعيّـة، وحقَّق مَقامَ العَبْديّة، وجدَّدَ السُّنَنَ الداثرة، وقامَ بأعبائها، وتكفَّلَ بعِلْمِها، وتقلَّدَ عَمَلَها، وشَمَّرَ في إحيائها، فبَذَلَ في ذلك رُوحَهُ وعقلَهُ ونفْسَهُ ومالَه، فكانَ في حَلَبَةِ سِباقِها مقدَّمَ فُرسانِها، وشاووشَ(٣) أبطالِها في مَيْدانِها، وفازَ بُرتبةٍ تَتضاءلُ درجاتُ الكمالِ عن ذُروتِها في أعلى مكانِها: سِراجُ الزَّمان، وبَرَكةُ الوقتِ والأوان، شيخُ العِبَاد، أبو محمّدٍ عبدُ الله بنُ عَلَوي الحدّاد نفعَ اللهُ به.

---

(١) اسمه الكامل: «الموارد الروية الهنية في شرح الأبيات المنظومة في الوصية»، للحبيب أحمدَ بن زين الحبشي رحمه الله تعالى، وهو مطبوع.

(٢) اسمه الكامل: «سبيل الرشد والهداية في وصية أهل البداية»، للحبيب أحمد بن زين أيضاً. شرح به قصيدة شيخه الإمام الحدّاد التي مطلعها:

عليـك بتقـوى الله في السرِّ والعلَنْ　　وقلبَـك نظِّـفْه من الرجسِ والدرَنْ

(٣) شاووش: هندية الأصل لا عربية، وتعني الرئيس والقائد. أفادنيه أخي الأستاذ محمد باذيب حفظه الله. (إياد).

وقال أيضاً: لَعَمْري إنه مِن آياتِ الله الباهرةِ في هذا الزمانِ المحرومِ أهلُه ـ لو وَجَد أهلاً لِـمَا عندَه ـ مِن كنوزِ الجواهر، والدُّرَرِ البَواهر، وما أظهَرَه بالنسبةِ إلى ما كتَمَه كرَشْحةٍ مِن زِقّ(١)، أو كنَـفْثـةٍ مِن بحر.

وقال أيضاً في كتابِ «النفَحاتِ السَّرِيّة»(٢) في امتداحِ الشيخِ عبدِ الله: إني أعلَمُ مِن أحوالِهِ ومُعامَلاتِهِ معَ الله، وإخلاصِهِ وقوّةِ يقينِهِ وكَشْفِه، وثَباتِه في الدِّين ورُسُوخِ قَدَمِه فيه، وعلومِهِ: الباطِنةِ والظاهِرة، وإقامتِهِ لظاهِرِ الشريعة، وتحقُّقِ باطِنِهِ بها، وعُلُوِّ معارِفِهِ بالله، وغيرِ ذلك: ممّا يَتَعَسَّرُ عليَّ كتابتُه، بل ربّما يَتعذَّر، ويَبقى ممّا أعرِفُهُ أكثرُ مِن ذلكَ بكثير، وهذا كلُّهُ على قَدْري وعلى قَدْرِ ما أعطاني اللهُ منَ الفهم في حقائقِ الدِّين، وهُوَ مِن غيرِ حولٍ منّي ولا قوّة [٧ب]، واللهُ أعلمُ منّي بحالي. وأمّا على قدْرِ شيخِنا فلا أعرِفُ شيئاً، رضيَ اللهُ عنه وأرضاه.

قال في «الـمَشْرِع» المنقولِ منه أولاً: ثُم شرَعَ في التأليف، وأبدَعَ في التصنيف، وطرَّزَ حُلَلَ العلوم بِوَشْيِ أرقامِه، ورَمَى أعراضَ الفُهُومِ بسِهامِ أقلامِه، وأتى مِن مُعجزاتِ فضائلِهِ بالخوارق، ونسَخَ بِبراعةِ عبارتِهِ صدورَ المَهارِق(٣)، وكلامُهُ أعلى مِن رَشْفِ الرُّضاب(٤)، وأشهى مِن رِضى الأحبابِ الغِضاب. ولهُ نظْمٌ هُوَ

---

(١) الزِّق: كل وعاءٍ من جِلْد، اتُّـخذ لشرابٍ ونحوه.

(٢) اسمه الكامل: «النفحات السَّرية والنفثات الأَمْرية شرح القصيدة العينية»، كما في «غاية القصد والمراد» لابن سميط. وهو المطبوع المشهور بين أيدي الناس بـ«شرح العينية».

(٣) المهارق: جمع مُهْرَق، فارسيٌّ معرَّب، وهو الصحيفة البيضاء يُكتَب فيها، وقيل: ثوبُ حريرٍ أبيضُ، يُسقَى الصمغَ ويُصقَل ثم يُكتب فيه. «لسان العرب» (هرق).

(٤) الرُّضاب: الرِّيق العذْب من المحبوبة.

السِّحرُ إلّا أنه الحلال، وأدَبٌ هُوَ البحرُ إلّا أنه العَذْبُ الزُّلال، وحُسْنُ خُلُقٍ كغُرّةِ الوجهِ الوَسِيم، وطَبْعٌ كأنفاسِ النسيم. [كامل]

طُبِـعَ الأنامِ على الخِلافِ وطَبْعُهُ في الناسِ مسألـةٌ بغيـرِ خِلافِ

انتهى.

قلتُ: فمِن مؤلَّفاتِه رضيَ اللهُ عنه:

- كتابُ «النصائح الدينيّـة».
- وكتابُ «الدّعوةِ التامّـة والتذْكِرةِ العامّـة».
- وكتابُ «الفصولِ العلميّـة والمسائلِ الحِكْمِيّـة».
- وكتابُ «إتحافِ السائل بأجوبةِ المسائل».
- وكتابُ «سبيلِ الادّكار فيما يَمُرُّ بالإنسانِ منَ الأعمار».
- وكتابُ «رسالةِ الـمُعاوَنةِ والمظاهَرةِ والـمُؤازَرةِ للسالكين».
- وكتابُ «رسالةِ الـمُريد، المخصوصِ مِن ربِّه الحميد».
- وكتابُ «رسالةِ الـمُذاكَرة»(١).
- وكتابُ «المجمُوع» وهُوَ أربعةُ أقسام: قِسمٌ في الوصايا، وقِسمٌ في الحِكَم، وقِسمٌ في المكاتَبات، والرابعُ منَ الأقسام: «الدُّرُّ المنظوم لذوي العقولِ والفُهوم»(٢).

---

(١) وقد طبعت هذه المؤلفات كلها، وعمَّ النفعُ بها.

(٢) وهو ديوانٌ عظيمٌ مبارك، اشتهر قولُ ناظمِه فيه: من كان عنده الديوان يكفيه.

[نماذجُ مِن شِعْرِه]:

فمِن كلامِه رضيَ اللهُ عنه ونفَعَ به: [مجزوء الكامل]

هـل أنـتَ منّي حينَ أكرَمَني ربّـي قـريباً أيُّهـا الخالـيْ [٨أ]
أو هل رأتْ عَيناكَ سِرّاً بِهِ قـد خَصَّني مِن بَيـنِ أشكالي
أوَ ما رَأتْ عَيني وما سَمِعتْ مِـن غَيْبـه بالمنظَـر العـالي
وقـد حمـى أطـرافَ مَمْلَكتي بالقَهْـرِ، جَلَّ القاهرُ الوالي(١)

وقالَ رضيَ اللهُ عنه:

مَشاهِـدُ بالفُـؤادِ أَشهَـدُهـا مِنْ باطِنِ العلم دُونَها النظَرُ
ما كادَتِ الفانِيـاتُ تُوقِفُني إلا زَوَتْهـا العُلُـومُ والفِكَـرُ
ولا أتـانـي اللَّعِيـنُ يَفتِنُني إلّا رَمـاهُ مِـنَ العُلى شَرَرُ(٢)

ومنهُ، مشيراً إلى نفْسِه: [مجزوء الرجز]

هَبَّتْ نُسَيمـاتُ الـوِصالْ مِن جانِـبِ القُدْسِ العَلِيْ
واستَغْـرقَـتْ أنـوارُهـا عَـوالِـمَ القلـبِ الخَلِيْ
عمّـا سِـوى مَعْبُـودِهِ الـواحـدِ الحقِّ الـوَلـيْ
وكُـوشِفَـتْ أسـرارُهُ وحَلَّ في بُـرْجِ الوصُولْ(٣)

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسةَ عشرةَ من رَوِيِّ اللام)، ص٤٣٩.
(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة العاشرة من رَوِيِّ الراء)، ص٢٣٨، ٢٣٩.
(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانيةَ عشرةَ من رَوِيِّ اللام)، ص٤٢٥-٤٢٦.

ومنهُ، بعدَ ذكْرِ جملةٍ مِن أهلِ البيتِ النبويِّ وسِيَرِهم ومَناقِبِهم رضيَ اللهُ عنهم أجمعين، آمين: [طويل]

مَـوارِيثُهـم فينـا وفينـا علُـومُهْـم ... وأسـرارُهـم فـلْيسألِ الـمُتَـرَامِيْ
إذا جـاءَ بالصِّـدقِ الـذي هُـوَ سُلَّمٌ ... علـى كـلِّ خَيـرٍ نـالَ كـلَّ مَـرامِ
وكم حِكمةٍ عنهُمْ وحُكْمٍ وكم وكم ... نَوامِيـسِ قَهـرٍ للطُّغـاةِ رَوامـيْ(١)

ومنهُ، أيضاً: [طويل]

تَحَقَّقْـتُ مَطلُوبي فأسـرَعْتُ نَحـوَهُ ... فـدامَ سُـروري واضمَحَـلَّ عَنائي
وقامَ شُهُودي واستمرَّتْ مَواسِمي ... وطابَ زَمـاني واستَـتَمَّ صَفائي(٢)

ومنهُ، أيضاً:

والهـــادي البَـشِيـــرْ ... خـيرُ البرَايـاتِ جَـدِّيْ
البـــدْرُ الـمُـنِيـــرْ ... بـهِ تَـمَّ فَخْـرِي ومَجْـدِيْ [٨ب]
بـالطُّهْـــرِ النَّـذِيـــرْ ... أنـــالُ غايـاتِ قَـصْدِيْ
مِـــنْ كـــلِّ الفُنُـــونْ ... على هَوانِ الـمُجانِبْ(٣)

انتهى ما أردتُ نَقلَه منه.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثالثة من رَوِيِّ الميم)، ص٤٦٢-٤٦٣.
(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الأولى من رَوِيِّ الألف)، ص٥٤.
(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعة من رَوِيِّ الباء)، ص٧٢.

[وفاته]:

تُوفيَ رضيَ اللهُ عنه بمدينةِ تَرِيمَ في النصفِ الأولِ منَ الليل، ليلةَ الثلاثاء، ودُفِنَ بها قبلَ الغروب ليلةَ الأربعاء، وذلك لسبعٍ خلَتْ من شهرِ ذي القَعْدةِ المحرَّم، سنةَ اثنتَيْنِ وثلاثينَ ومئةٍ وألف، وسِنُّهُ إذ ذاكَ نحوُ ثمانٍ وثمانينَ سنةً، وقُبِرَ بجِنانِ بَشّار[1]، وضريحُه هناك يُزار، رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه، ونفَعَنا بهِ في الدارَيْن، ولا حَرَمَنا بَـرَكتَه والمسلمين، آمينَ رَبَّ العالمين.

ومِن كلامِه أيضاً رضيَ اللهُ عنه في «الدرِّ المنظوم» المذكور: القصيدةُ المقصودةُ بالتعليق، المشارُ إليها أولاً، وهيَ المسمَّاةُ بلسانِ ناظِمها نَفَعَ اللهُ بِهِ: «النفْحةَ العَنبَرِيّـة في الساعةِ السَّحَرِيّـة»[2] التي مَطلِعُها:

يا ربِّ يا عالِـمَ الحـالْ　　　إليـكَ وجَّهتُ الآمالْ
فامنُنْ علينـا بالاقبـالْ　　　وكنْ لنـا واصلِحِ البالْ

وكان الناظمُ نَفَعَ اللهُ به يُحبُّها كثيراً، ويُعجَبُ بها جدّاً، ويقول: إنّها مِن أعظمِ ما نَظَمناهُ، لأنّ في كلِّ بيتٍ منها إقامةَ التوحيد، وكلُّ بيتٍ أربعُ كلمات، وكانَ يقول: لو أنّ مذهَبَنا مراعاةُ الأسبابِ لأوصَينا بدَفنِها معَنا كما فعلَ اليافعِيُّ وغيرُه، **ولكنّ مذهَبَنا لقاءُ الله بالافتقارِ الـمَحْض.**

---

(١) وهي أعظم مقبرةٍ بتريم، فيها جماعةٌ من الصحابة رضيَ الله عنهم، وجماعاتٌ من كبار الأولياء والصالحين من السادة آل باعلوي وغيرهم.

(٢) وهي القصيدة السادسةَ عشرةَ من رَوِيِّ اللام في ديوان الإمام الحدّاد، ص٤٤٣.

هذا، ولقد أحسَنَ فيها وأجاد، ورفَعَ وأشاد، وارتفعَ وساد، ورقى وارتقى، وانتخَبَ وانتقى، وحقَّق ودقَّق، وشوَّقَ وتَوَّق، وجادَ وتَطوَّل، وأتى بما عليه المعوَّل، وأمسَكَ منَ الأمورِ عينَ أعيانِها [٩أ]، الذي هو مقصودُها وشانُها، وأطلَقَ في حَلَبةِ السِّباقِ عِنانَها، وصارَ مُـجَلِّيَ فُرسانِها في مَيدانِها، وأزالَ عنِ القلوبِ خَبَثَها ورَانَها، حتى تَداولَها مِن أهلِ العصرِ شُيُوخُها وشُبَّانُها، وعُقَلاؤُها وصِبْيانُها، وإناثُها وذُكْرانُها. رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه، وجزاهُ عنِ المسلمينَ خيراً.

وهذا التعليقُ وإنْ لم يَكنْ مُطابِقاً لمرادِ الناظم وواقعاً على مقصودِه، إذْ لا يَعرِفُ مقاصِدَ أهلِ الله إلّا هم، وإلّا فهُوَ مُوافقٌ لهُ مِن حيثُ كونُه حقّاً في نفْسِه. اللهمَّ أَرِنا الحقَّ حقاً وارزُقْنا اتّباعَه، وأَرِنا الباطلَ باطلاً وارزُقنا اجتِنابه.

ولم يَـجْرُؤْ[١] على الاستمرارِ في ذلكَ إلا امتثالَ مَنْ واجِبٌ اتّباعُهُ وامتثالُه، ولا يَسَعُ خِلافُه، بل لا يجوز.

وهذا أوانُ الابتداء، واللهُ المعينُ لا ربَّ غيرُه. ولا خيرَ إلّا خيرُه، وهُوَ حسبُنا ونعمَ الوكيل، ونعمَ المولى ونعمَ النَّصِير، وما توفيقي إلّا بالله، عليهِ توكّلتُ وإليهِ أُنِيب، ربَّنا آتِنا مِن لدُنْكَ رحمةً وهَيِّئْ لنا مِن أمرِنا رَشَداً. ربّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذْ هدَيْتَنا وهَبْ لنا مِن لدُنْكَ رحمةً إنّكَ أنتَ الوهّاب. ربّنا أَتْمِمْ لنا نورَنا واغفِرْ لنا إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير. اللهمَّ صلِّ على سَيّدِنا محمّدٍ النبيِّ الأُميِّ، الكاملِ الفاتحِ الخاتم، وعلى آلِهِ وأصحابهِ، والتابعينَ لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين، وبالله أستَعِين.

---

(١) الفاعل هنا ضميرٌ مستترٌ يعودُ إلى المؤلف، وكأنه عبّر عن نفسه بصيغة الغَيبة تواضعاً. ورسم الكلمة في الأصل: يجر، بالتسهيل.

قالَ رضيَ اللهُ عنه وأرضاه، ونفَعَنا بهِ، آمين [٩ب]:

يا ربِّ يا عالِـمَ الحالْ

(الرَّبُّ): هُوَ المالِكُ والسيِّد والـمُرَبِّي.

(العالِـمُ): الـمُطَّلِعُ على مَكنُوناتِ السَّرائر، وخَفِيّاتِ الضمائر، الرقيبُ الحاضِر، الشهيدُ الناظِر، الذي لا يَعزُبُ عنهُ مثقالُ ذَرّةٍ في السمواتِ ولا في الأرض. وانكشافُ الأشياءِ عندَهُ ـ كُلِّها: جَلِّيها وخَفِيِّها وجُزْئِيِّها ـ بمثابةٍ واحدة، وعلى وَتيرةٍ واحدة. وهُوَ اللهُ عزَّ وجَلّ.

والعِلْمُ إحدى الصِّفاتِ الإلهيّـةِ السَّبْعِ التي ضَمَّنَها الناظِمُ في رائيّته الكبرى بقوله: [طويل]

عليـمٌ وحَــيٌّ قـادِرٌ مُتَـكلّــمٌ ... مُرِيدٌ سَمِيعٌ مُبْصِرٌ بالمصَادِرِ[١]

والعَليمُ والحيُّ والقادرُ والسميعُ والبَصير؛ مِن أسمائه تعالى التسعةِ والتسعينَ الـمَرويّـةِ في الصحيحِ عن أبي هريرةَ رضيَ اللهُ عنه، عنِ النبيِّ ﷺ: «إنّ لله تعالى تسعةً وتسعينَ اسماً، مَن أحصاها دَخَلَ الجنة»[٢].

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٦٩.

(٢) هذا المتن في الصحيحين: البخاري (٢٥٣١) ومسلم (٤٨٣٦). أما المتن الذي فيه سردُ الأسماء التسعة والتسعين فأخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٤٢٩)، من حديث أبي هريرة أيضاً.

معنى **العَليم**: المحيطُ علماً بكلِّ شيء: ظاهرِهِ وباطنِهِ، جَليلِهِ ودَقِيقِه.

والخَبيرُ: يُخصَّصُ باطِّلاعِهِ على بَواطِنِ الأمور.

والحَكِيمُ(١): مِن حيثُ اطِّلاعُه على أشرَفِ المعلومات.

والشهِيدُ: مِنْ حيثُ شُهُودُهُ للأشياءِ وانكشافُها له.

والـمُحصِي: مِن حيثُ إحصاؤُه سائرَ المعلوماتِ، وليس ذلكَ إلّا لله.

ومعنى **الحيِّ** في حقِّه تعالى: الفَعّالُ الدَّرّاك، الذي يَندَرِجُ تحت إدراكِهِ جميعُ الـمُدرَكاتِ والموجودات.

والقادرُ والمقتَدِرُ بمعنىً.

والقُدرةُ هيَ: المعنى الذي بِهِ تُوجَدُ الأشياءُ حَسَبَ تقديرِ الإرادةِ والعلم على وَفْقِها.

والقَوِيُّ: تامُّ القُدرة، والمتينُ: شدِيدُ القوة [١٠أ]، وهما مِن أسمائه تعالى، أعني: القويَّ المتين.

والسميعُ والبصير: الذي لا يَعزُبُ عنه مسمُوعٌ وإنْ خَفِيَ، ولا مَرئِيٌّ وإنْ بَعُدَ، ولا يُتَصوَّرُ جميعُ ذلك لغيرِ الله تعالى.

والحالُ: ما يَخُصُّ الإنسانَ مِن شؤونِهِ: الجِسميّـة والقلبية، الحِسِّيّـة والمعنوية، العاجلةِ والآجلة.

---

(١) تحرّفت في الأصل إلى: الحليم!

قولُهُ رضيَ اللهُ عنه:

إليكَ وجَّهتُ الامالْ

لا إلى غيرِكَ مِن أحدٍ مِن خلْقِكَ، صرَفْتُ وصيَّرتُ جميعَ ما أطلُبُه وأُؤمِّلُهُ منَ الأمورِ الـمَعَاديّةِ الأُخرَويّة، والمعاشيّـةِ الدنيويّة ممّا يُعينُ على الأُخرويّة ويَستدِلُّ به العبدُ على: اعتناءِ المولى بهِ سبحانَه، وأنّ ما تَطوَّلَ بهِ[1] عليه في الدنيا سيَجُودُ عليه بمثلِهِ في الأخرى.

وحَقِيقٌ لمنْ عَلَتْ هِمّتُه أن يأنَفَ مِن رَفْعِ حوائجِه إلى غيرِ كريم، وليسَ كريماً على الحقيقةِ إلّا اللهُ تعالى. قال بعضُ الحكماء: لا تَتعدَّيَنَّ هِمّتُكَ إلى غيرِه، فالكريمُ لا تتخطّاهُ الآمالُ[2]. وقيل شعراً: [طويل]

حرامٌ على مَن وحَّـدَ اللـهَ ربَّـــهُ وأفـرَدَه أنْ يَحتـذِيْ أحـداً رِفْدا

ثُم قال:

فامْنُنْ علينا بالاقبالْ

فالـمَنُّ هُوَ: البدايةُ للعبدِ منَ الله بالنوالِ قبلَ السؤال. **والإقبالُ** هُوَ: بالرحمةِ واللطفِ والحنانِ والعطفِ منَ الله تعالى، حسْبَ ما يَقتضِيهِ الجُودُ الإلهيُّ والفيضُ الرحمانيُّ الأزَليّان، لا بما يَقتضِيهِ عملُ العبد، فإنه لولا هذا الإقبالُ الربّانيُّ للعبدِ،

---

(١) أي: امتَنَّ به. «مختار الصحاح» (طول).

(٢) هذه مِن حِكَم الإمام تاج الدين ابن عطاء الله السكندري رضيَ الله عنه.

الـمُثمِرُ لهُ التقوى، لَـمَا قُبِلَ منهُ العمَلُ، ولَارتَـبَكَ[١] في لُـجّةِ الزيْغِ والزَّلَل: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [المائدة: ٢٧]، وقد قيل: ربّما فَـتَحَ لكَ بابَ الطاعةِ وما فَـتَحَ لكَ بابَ القبُول[٢]. [١٠ب] وإنه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ﴾ [النور: ٢١] بإقبالِهِ عليه، وسِياقتهِ العونَ والتأييدَ والتوفيقَ إليه، فبذلكَ يَحصُلُ لهُ المطلوب، والمأمولُ والمرغوب، ويَندَفِعُ عنه المذمُومُ والمكروهُ والمرهُوب.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

وكنْ لنا واصلِحِ البالْ

الكيْنونةُ منهُ سبحانَه: التولِّي للعبدِ والحفظُ والإعانةُ له، وذلكَ بما كان بهِ لخاصّتِهِ وأحبابِهِ، ومَن ركَنَ إلى كريمِ جَنَابِهِ، إنه لا يَخيبُ مَن لاذَ بِه.

والبالُ هُوَ: القلبُ الذي بصَلاحِهِ يصلُحُ الجسَد، وهُوَ مَوضِعُ الخِطابِ الإلهيِّ الذي هو الأمانةُ التي عجَزَتِ الجبالُ عن أعبائها، وعليهِ يترتَّبُ الثوابُ والعقاب، بموجَبِ الخطاب، وهُوَ محلُّ معرفةِ الربّ، ومَوطِنُ خالصِ القُرْب. ولا يَصلُحُ ويَستعِدُّ لنزولِ المعرفةِ الإلهيّةِ إلا بعدَ التخلِّي عنِ الأخلاقِ الدَّنِيّـةِ والأوصافِ الذميمة، الذي هُوَ التطهيرُ المشارُ إليه في هذا الموطِنِ بالصَّلاح. وبتطهيرِهِ وتَخلِيتِهِ، وإصلاحِهِ وتزكيته ـ الذي هو أحدُ جُزْأي الاستعداد، وثانيها:

---

(١) في الأصل: (ولا ارتبك)! وهو خطأٌ يقلب المعنى. واللام أعلاه هي المزحلقة.

(٢) وهذه من حِكَم الإمام ابن عطاء الله السكندريِّ أيضاً.

التحلِّي بالأوصافِ السَّنِيّـة والمقاماتِ العَلِيّـة ـ فبذلكَ يَستعِدُّ لنزولِ معرفةِ ربِّه، وفَيَضانِ إمـدادِ قُربِـه ورحمتـهِ الواسعـة، جعَلَنا اللهُ مِن أهلِ المعرفةِ والرحمةِ بمنِّـه وفضلِه.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا ربِّ يا ربَّ الاربابْ

كرَّرَ الاستعانةَ والنداءَ حرْصاً على الطلَب، تَشَوُّفاً وتشوُّقاً إلى حصولِ المأمولِ والأرَب.

ثُم قال:

عبْدُكْ فَقِيرُكْ على البابْ

والعبدُ حقيقةً: الذي لا يملِكُهُ غيرُ الله سبحانَه مِن نفْسٍ أو شيطانٍ [١١أ] أو دنيا أو خَلْقٍ وغيرها ممّا سواهُ تعالى، المحرَّرُ مِن رِقِّ الأغيار، والـمُطلَقُ مِن أسْرِ الشَهواتِ الدنيوية، والسِّماتِ البَهيميّة، وهذا هُوَ الفقيرُ المضافُ إلى غِنى مَولاه، الخالي عنِ الاستمدادِ والاستِعطافِ ممّن سِواه، الواقِفُ على بابِهِ وفِنَـاه، المعدودِ لإنزالِ الحاجات، وسَدِّ الخَلّاتِ والفاقات، ودفعِ الشدائدِ والنكَبات.

ويَلزَمُ مِن لزومِ الفقرِ للعبدِ: تحقيقُ الغنى لله عزَّ وجلّ، واللهُ الغنيُّ حقيقةً، وسيأتي بعضُ معناهُ عند قولِهِ: (خيرَ كافي) ومقصودُهُ مِن هنا.

ثُم قال:

أتى وقد بَتَّ الاسبابْ

قطَعَها وحلَّـلَ عُقدَها، وهِيَ: كلُّ ما يُعوِّقُ ويَقطَعُ عن سُلُوكِ سبيلِ الله ويُكسِلُ ويُثَـبِّـطُ عنِ الانخـراطِ في سلوكِ حِزْبـه، وخاصّتـهِ مِن خَلْقِـه، القائمينَ بخدمتِه، المشغُوفينَ بمحبّـتِه، الـمُشمِّرينَ عن ساقِ الجِدّ بمقتضى الاتِّصافِ بعبوديّـتِهِ وعُبُودَتِه(١)، الذين لا تَستفِزُّهمُ الشهَوات، ولا تَعترِضُهُمُ العَوارِض، ولا تقطَعُهمُ القَواطعُ عنِ الله تعالى ممّا هُوَ شأنُ أهلِ القَطِيعةِ والبعد، والهَجْرِ والطّرد.

ثُم قال:

مُستَدرِكاً بعدَ ما مالْ

مُتدارِكاً متلافياً بالتوبةِ والرجُوع، والإنابةِ والخضُوع، والنّدمِ والخشُوع، وشدِّ المِئزَرِ للعمل، وجَبْرِ النقصانِ والخَلَل، بعدَ مَيْلِهِ عنِ الطريقِ القويمةِ والسبيلِ السَّويِّ التي هيَ: الائتمارُ لأمرِهِ تعالى والانتهاءُ عن زَجْرِه، وهُوَ التقوى الـمُوصى بِهِ الأوّلونَ والآخِرون.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا واسعَ الـجُودِ جُودَكْ

الواسِعُ [١١ب]: مِن أسمائِه تعالى، وهُوَ: الـمُحِيطُ علمُهُ بجميع المعلومات،

---

(١) تقدم في أول التعليقات بيانُ أوجه الفرق بين العبادة والعبودية والعبودة، فارجع إليه إنْ شئت.

وكيفَ ما قُدِّرَ وعلى أيِّ شيءٍ نزَل[١]، وهُوَ اللهُ عزَّ وجَلّ، الذي وَسِعَ الخَلِيقةَ عطاؤُه ونَوالُه، ولم يُنقِصْ ما عندَهُ إسعافُ المحتاجِينَ بحَوائجِهم.

والذي وَسِعَ العُصَاةَ وأهلَ الجَراءةِ والتّهتُّكِ والـمَحارِمِ حِلْمُه، والذي أخَّرَ العُقُوبةَ بعدَ استحقاقِهم إيّاها: هُوَ الأحقُّ بهذا الاسم الذي لا تَنتَهي سَعَتُه لِقُصَارى، وسَعَةُ غيرِه مجازٌ[٢] بالنسبةِ إلى أبناءِ جِنْسِه.

والجودُ بالحقيقةِ لا يكونُ إلّا لله تعالى، وهُوَ: إعطاءُ النَّوالِ وبَذلُه للمستحِقِّ وغيرِه، ولا يكونُ لغَرَضٍ ولا لحِظٍّ ولا عِوَض، إذ لا يَجوزُ في حقِّهِ تعالى طلَبُ الأعراضِ والحظوظِ والأعواض، ولا يَستَحِقُّ وصْفَ الجُودِ غيرُه، إذ منهُ بدَأَ وإليه يعود.

ثُم قال:

الخيرُ خيرُكْ وعندَكْ

الخيرُ هُوَ: الصَّلاحُ العاجِلُ والآجِل الملائمُ للقلبِ والقالَب، وهُوَ: ما حُمِدَ غِبُّـهُ[٣] وعاقِبتُه، الكائنُ عندَ الله، الـمُفاضُ منهُ على عبدِه، لا ما نُسِبَ إلى غيرِه، إذْ هُوَ وما نُسِبَ إليه حَسَنةٌ مِن حَسَناتِه، ورَشْفةٌ مِن بحارِ مقدُوراتِه، أولاً: بالإيجاد، وثانياً: بالإمداد.

(وعندَكْ): في خزائن رحمتِك وسَعَةِ جودِك.

---

(١) كذا العبارة في الأصل.

(٢) في الأصل: مجازاً، وهو خطأ.

(٣) غِبُّ كل شيءٍ: عاقبتُه. «مختار الصحاح» (غبب).

ثم(١) قال:

فوقَ الذي رامَ عبدُكْ

تشوُّفٌ وتَطَلُّعٌ إلى نَـيْلِهِ وحصولِهِ منَ الخيرِ والجودِ والفضلِ والبرِّ والرحمةِ الشاملةِ لذلك، ولـمّا كانَ كذلكَ قال:

فادْرِكْ بِرَحـمَتِكْ في الحالْ

والرحمنُ والرحيمُ مِن أسمائه تعالى الجمالية، و(**الرحمةُ**) منهُ سُبحانَه وتعالى: إيصالُ المنفعةِ للمستَنفِع [١٢أ] مِن غيرِ أنْ يَعتَورَهُ تَغَيُّـرٌ. والرَّؤوفُ مِن أسمائهِ أيضاً، والرأفةُ: شدّةُ الرحمةِ منهُ للمرحوم. و(**الإدراكُ**) هُوَ: الإعانةُ بالمبادَرةِ والعَجَلُ بالرحمةِ الإلهيّةِ التي هِيَ منتهى المقاصِدِ وقُصَارى بُغْيَةِ الطالبِ الراغبِ الغيرِ القادرِ على جَلْبِ الصَّلاحِ والمنفعةِ لنفسِه كما لم يَقدِرْ على(٢) دفعِ الشرِّ والمَضَرّةِ عنهُ بوصْفِهِ بالعجزِ الخَلْقيِّ الفِطْريِّ والضّعفِ الإنسانيِّ الموصوفِ والمنعوتِ بِهِ كلُّ إنسانٍ في التنزيل: ﴿وَخُلِقَ ٱلْإِنسَـٰنُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

وكونُ إدراكِهِ سُبحانَه بالرحمةِ لعبدِه في الحالِ والوقتِ الكائنِ حينَ الطلَبِ واللَّجَإِ والاستعانةِ والدعاء، إذِ احتياجُ كلِّ عبدٍ إلى رحمةِ ربِّه لا يَنفَكُّ عنهُ مخلُوقٌ قطُّ، ولولا قِيامُ الكائناتِ العُلْويّةِ والسُّفليّةِ بالرحمةِ الإلهيّة ـ الـمُمِدّةِ لها بالإيجاد، ثُم بالقيامِ بها بعدَ وجودِها برحمةِ بارئها وخالقِها ومُصوِّرِها، والإتمامِ لها على وَفْقِ ما قامَتْ بِهِ وعليه، ثُم بتقواهُ حقَّ تقاتِه، والدُّؤوبِ في العملِ بمَرْضاتِه، وذلك

(١) في الأصل: كما.
(٢) في الأصل: عن.

بالقيامِ بطاعاتِه، والتمتُّعِ بلَذِيذِ مناجاتِه حسبَما يَقتَضيهِ جَلالُ ذاتِه وجميلُ صفاتِه ـ لولا ذلكَ لَتَلاشَتْ واضمَحَلَّتِ الأكوان، ولَـمَّا كان مِن ذلكَ ما كان: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾ [الصافات: ٩٦]، ومنهُ العَونُ وعليهِ البَلاغ.

ولا حَولَ عنِ الارتباكِ في المعاصي والخطايا، والارتكابِ للرّذائلِ والدَّنايا؛ إلّا بتوفيقه ورحمتِه. ولا قوةَ على القيامِ بأوامرِه وطاعاتِه إلّا بتأيـيدِه وتسديـدِه ومَعُونتِه، وما توفيقي [١٢ب] إلّا بالله، عليهِ توكّلتُ وإليهِ أُنِيب.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا مُوجِدَ الـخَلْقِ طُـرّا

جميعِهم، مُوجِدُهم ومختَرِعُهم منَ العَدَمِ الـمَحْضِ الذي لا سَبْقِيّـةَ لهُ ولا قِدَم، إذِ القِدَمُ الحقيقيُّ لا يُتَصَوَّرُ إلّا في حقِّه تعالى، وأمّا ما سِواهُ فواجبٌ حُدُوثُه، **وليسَ الوجودُ الحقيقيُّ إلّا لله، وأمّا غيرُهُ فبإيجادِه وحدوثِهِ صارَ موجوداً، قال بعضُهم: اتّفقَتْ مقالاتُ العارفينَ والـمُحقِّقِينَ وإشاراتُهم ومَواجِيدُهم على أنّ ما سِوى الله عَدَمٌ مَحْضٌ مِن حيثُ ذاتُه لا يُوصَفُ بوجودٍ معَ الله، إذْ لو وُصِفَ بِهِ لكان ذلك شِرْكةً ومَثْـنَوِيةً، وهُوَ مناقضٌ لإخلاصِ التوحيد**[1].

---

(١) هذا كلامٌ في الغاية من التحقيق، فإنّ وجودَ ما سوى الله تعالى إنما هو وجودٌ مستعارٌ ناقصٌ غيرُ ذاتيّ، فتسميته (وجوداً) مجاز، فالوجود الحقيقي ليس إلا لله تعالى، ويعبِّر بعض العارفين عن ذلك الوجود المجازي للمخلوقات بـ(الثبوت)، فراراً من إطلاق الوجود على غير الله تعالى، قال الإمام تاج الدين ابن عطاء الله السكندريّ رضي الله عنه: «الأكوان ثابتة بإثباته، ممحوة بأحدية ذاته». والنظر إلى الكون بهذا المفهوم وهذا الاعتبار: هو المعنى الصحيح لوحدة الوجود، وهي أمرٌ يُدرَك بالذوق لا بشقشقات الكلام. لذا قال العلامة الإمام الكوثري في بعض «مقدماته» بأنّ وحدة الوجود موضوعٌ يضيع دونه كل مجهـود، وما ذلك =

والـخَلْقُ: ما سِوى الله، مِن جِنٍّ وإنسٍ ومَلَكٍ وحَيَوانٍ ونَباتٍ وغيرِ ذلك، لا يَخْرُجُ أحدٌ عن كونِه مَصنُوعاً مُختَـرَعاً غيرَ مَسبوقٍ بمِثْلِه وغيرَ خارجٍ عن قبضتِهِ وعلمِهِ ومَشِيئـتِه وقُدرتهِ وإرادتِه الـمُخصِّصة، لا في عاجِلِهِ ولا في آجِلِه.

والواجِدُ منَ الأسماءِ الإلهيّة، وهُوَ الواجدُ لكلِّ شيءٍ ولا يُعْوِزُهُ وجودُ كلِّ شيء، وكذا الخالقُ البارئُ المصوِّرُ: مِن أسمائه عزَّ وجلّ، وهيَ متقاربةُ المعنى، غيرَ أنه خالقٌ مِن حيثُ كونُه مقدِّراً، بارئٌ مِن حيثُ كونُه مخترِعاً، مصوِّرٌ من حيثُ كونُه مُرتِّباً صوَّرَ الـمُختَرَعاتِ أحسنَ ترتيب.

ثُم قال:

ومُوسِعَ الكُلِّ بِرّا

أي: غامِرَهم ببِرِّه ونوالِهِ وخيرِه، وعامرَ قلوبِهم بالإيمانِ به والعملِ بمقتضاهُ ونورِه، ومستَغرِقَ أسرارِهم بمحبّتِه وذِكْرِه. قال:

أسألْكَ إسبالْ سَترا

والسَّترُ [١٣أ] والغَفْرُ بمعنىً، والغَفّارُ والغَفُور مِن أسمائه تعالى. والغَفُورُ: تامُّ السَّتر، والغَفّار: الذي يتكرَّرُ منهُ وجودُ السَّتر.

= إلا لأنّ الأمرَ ذَوقيٌّ شهوديّ؛ فتوسيعُ العبارة عنه مَزِلّة، لذا تحفّظ الكبار في تقرير أمثال هذه المباحث واقتصدوا. ومن جَسُر ووسّع الكلامَ في الذوقيات وفلسَفَها: ضاقت به العبارة، وأوقع الناسَ في الاشتباه، فتناوله الملام، ومن أولئك: أربابُ التصوُّف الفلسفيّ، كصاحب الفصوص ومَن دار في فَـلَـكه، رحمَ الله الجميعَ وسامحَهم. (إياد).

ولـمّا كانَ وَصْفُه سُبحانَه كذلكَ سألَ منهُ سبحانَه أنْ يُسبِلَ عليه سَتْرَهُ وعلى جميع أحوالِه ومتعلَّقاتِه، مِن أعمالِهِ وقُصُودِه ونِيّاته، ممّا ينبغي أنْ يُستَر، ولا يُفشى ويُذكَر، كما بيّنَـهُ بقولِه رضي اللهُ عنه:

على القَبائحْ والاخطالْ

وهُوَ: كلُّ ما يُنكِرُه الشرعُ أو تَدفعُه المروءةُ تحريماً وكراهةً، وما يَكرَهُ العبدُ إظهارَه.

وأعظمُ القَبائحِ والأخطالِ فُحشاً وأجدَرُها في الدِّينِ نِكايةً هيَ الذنوب، وما أحوَجَها إلى إسبالِ ذَيلِ السَّتْرِ منَ الله عليها، ووضْعِ كَنَفِ رحمتِهِ عليها.

وسألَهُ غُفرانَه لها[1]؛ لأنّ ذهابَ الدنيا والآخرةِ يترتّبُ عليها.

ومِن وجوهِ سَتْرِ الله على عبدِه: حَجْبُـهُ عن خُطُورِ المعاصي على قلبِه، وشهوتِه لها الحاملةِ لهُ على التوُّرطِ فيها، أعاذَنا اللهُ منها وأسبَلَ علينا سَترَه الجميل، وكانَ لنا في الـمُقامِ والرحيل، وأنزَلَنا مستقَـرَّ رحمتِه عمّا قليل.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا مَن يَرى سِرَّ قلبي

نداءٌ منهُ لربِّه الناظرِ منهُ إلى باطِنِ قلبِه، المطَّلِعِ على مَكنُونِ سرِّه وما انطوى عليهِ ضميرُه مِن تَرادُفِ الخواطرِ وتَردادِ الهواجِس، إذِ القلبُ مَوضِعُ نَظَرِ الربّ،

---

(١) في الأصل: وساقه غفرانه إليها!

وموطِنُ خالِصِ القُرْب، و«إنّ اللهَ لا يَنظُـرُ إلى أجسامِكم وأموالِكم، ولكنْ ينظُـرُ إلى قلوبِكم وأعمالِكم»(١).

والرَّقيبُ والـمُهَيمِنُ مِن أسمائه سبحانَه، ومعنى **الرَّقيب**: الراعي للأشياء والملاحِظُ لها، ولم يَغفُلْ عنها ولا طَرْفةَ عين. ومعنى **الـمُهيمِن** [١٣ب]: القائمُ على خَلْقِه بالاطّلاعِ والاستيلاءِ والحفظ.

ولـمّا كان حالُ سيِّدِنا الناظمِ نفَعَ اللهُ به المراقبةَ معَ الله، وشُهُودَ اطِّلاعِهِ عليهِ في كلِّ أحوالِهِ قال:

حَسْبي اطِّلاعُكَ حَسْبي

يكفيني ويُغنيني عن كثرةِ السؤالِ والإلحاحِ في الدعاءِ: اطِّلاعُ الله على ما أضمَرْتُهُ وأكنَنْتُهُ في سِرِّي منَ الحاجاتِ والمطالِب، والآمالِ والمآرِب، مما لا يَخفى عليهِ، ولا يُرجى لِنُجح قضائها إلّا هُوَ. وعِلمُ العبدِ باطِّلاعِهِ عليه هُوَ الذي يُغنِيهِ عنِ السؤالِ بالمقال، ولذلك قال إبراهيمُ الخليلُ عليهِ السلام: حَسْبي مِن سؤالي عِلمُه بحالي. ولسيِّدِنا الناظِمِ رضيَ اللهُ عنه في تائيَّـتِهِ الكبرى: [طويل]

وحَسْبي، كفاني عِلمُـهُ واطِّلاعُهُ ... على ما بقلبي والفؤادِ وجُـمْلَتي(٢)

والحَسِيبُ مِن أسمائه عزَّ وجَلّ، ومعناهُ: الكافي، واللهُ الـحَسِيبُ على كلِّ أحدٍ وكافِيهِ، ولا يُتصوَّرُ ذلك حقيقةً لغيرِه. ويكفي عن سؤالِ العبدِ لرَبِّهِ عِنُ

(١) أخرجه الإمام مسلمٌ في «صحيحه» (٤٦٥١)، بلفظ: «صوركم» بدل: «أجسامكم».

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٩.

افتقارِه إليه وعجْزِهِ واضطرارِه، وكونِهِ لا استغناءَ لهُ عن مَولاه، ولا يَنفَكُّ عنِ الاحتيـاجِ إليـه والتعلُّقِ به والطلَبِ منه والسؤالِ لهُ في كلِّ حالٍ مِن أحوالِه، كما قيل شعراً: [بسيط]

إنّـي إليـكَ مـعَ الأنفاسِ مُحتـاجُ ... لو كانَ في مَفْرِقي الإكليلُ والتاجُ

ومِمّا يَقتَضِيهِ وصْفُهُ بما ذُكِرَ يُوجَبُ لهُ السؤالُ بالمقَال، في كلِّ حِينٍ وحال، ولذلك نُدِبَ إليه، وإنّ «مَنْ لا يسألِ اللهَ يَغضَبْ عليه»[1].

ثُم قال:

فامْحُ بعَفْوِكَ ذنبي

امْحُ وأَذهِبْ وأَزِلْ بعَفْوِك [١٤أ] الذي هُوَ المحوُ والإزالةُ للّذي قد وَقَعَ وثَبتَ منّي مِن تعاطي الذنوبِ والإصرارِ عليها، وعدمِ التوبةِ عنها. ونهايةُ ذلك إبدالُ السيّئاتِ بالحسَنات، والهفَواتِ بالحظَوات: ﴿يَمۡحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثۡبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩].

والذنبُ هُوَ: الشيْنُ المنسوبُ إلى العبدِ ممّا كَسِبَتْهُ يداهُ مما يُغِيظُ الحَقَّ ويُسخِطُه عليه ممّا يعلَمُه ومِمّا لا يَـحُوطُه إلّا علمُهُ ولا يَسَعُه إلّا حِلمُهُ تعالى.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٢٩٥)، والحاكم ٤: ٣٥٤، وأبو يعلى ١٣: ٤٠٠ (٦٥١٧)، وغيرهم، من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

ثم قال:

واصْلِحْ قُصُودي والاعمالْ

أي: حَسِّنْ مقاصدي ونِيّاتي وأَقوِمْ في سلوكِ سبيلِكَ عَزَماتي، وتَوَلَّني في خَلَواتي وجَلَواتي، ووَفِّقْني للوَفاءِ بما عَزَمْتُ عليهِ وهَمَمْتُ بِهِ منَ الأعمالِ الصالحة، وأَخلِصْها مِن كلِّ خَلْطٍ وشَوْبٍ يمنَعُ مِن قَبُولِها ومِن صلاحِيتِها للتقرُّبِ بها إليكَ زُلْفى، فبإصلاحِكَ لها تصلُحُ للقَبول، ويُزمِعُ صاحبُها للوصول.

ثم قال رضي اللهُ عنه:

ربِّ عليكَ اعتمادِي

ثقتي واتّكالي، ورُكُوني وسُكُوني، عليكَ لا على غيرِكَ مِن أحدٍ مِن خلقِك ممّن لا يَملِكُ لنفسِه نفْعاً ولا ضرّاً ولا موتاً ولا حياةً ولا نُشُوراً. لا مَن عَجَزَ عن جَلْبِ النفْع لنفسِه ودفْعِ الضُّرِّ عنها، فهُوَ عنِ الجلْبِ والدفع عن غيرِه أعجَزُ وأعجَز، وذلك:

كما إليكَ استنادِي

انتمائي إلى بابِك المقصُود، بإنزالِ الحوائج وحطِّ الرِّحالِ بجَنابِك وفِنائكَ الخَصْب.

ثُم قال:

صِدْقاً وأقصى مُرادِي

حقاً وتحقيقاً وذَوقاً ـ والوكيلُ: منَ الأسماءِ الإلهيّة، وهُوَ الموكُولُ إليهِ جميعُ الأشياءِ [١٤ب] بالاستِحقاقِ والذات، لا بإضافةٍ، وليسَ ذلكَ إلّا لله عزَّ وجلّ ـ واتّصافاً وجِدّاً وعزْماً على النفْس بدوامِ الاتصافِ والتحقُّقِ المشارِ إليه بالصِّدقِ في الاعتمادِ والاستناد، والجِدِّ والاجتهادِ في دوام ذلك.

(وأقصى مرادي) ـ أي: منتهى مطلوبي ومُرتادي، ومُنَائي في ديني ودُنيايَ ويومِ تَنادِي ـ هُوَ:

رِضاؤكَ الدائمُ الحالْ

الذي هُوَ غايةُ الغايات، ونهايةُ الطَّلِبات.

ومعنى كلامِه: أنّ منتهى السؤالِ والمأمولِ: رضى الله عزَّ وجَلّ عن عبدِه، الذي مِنْ لازِمِه العفوُ عنه والقَبولُ منه ومحوُ أوصافِهِ بأوصافِه، وإبدالُ دَنِيِّها بسَنِيِّها، ورذيلِها بِعَلِيِّها، والتوفيقُ للعمل بما يَقتَضِيهِ جلالُ الله الأبهى وجمالُهُ الأسنى.

و**(الدائمُ الحال)**: الذي لا يَزولُ ولا يَحُولُ أبَدَ الآباد، الذي لا آخرَ لهُ ولا نفاد. ويَستلزِمُ رضاؤه تعالى نجاةَ العبدِ منَ النيران، والحصولَ منها على غايةِ الأمان، ومنَ التوبيخِ والخُسران، فإنّ مَنْ رَضِيَ أحَبّ، ومَنْ أحَبَّ لم يُعذِّبْ أبداً، تلك الجنّـةُ التي وُعِدَ المتقون، ﴿رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

وحُقَّ لِـمَنْ عرَفَ اللهَ حقَّ معرِفتِه، واستُهتِرَ قلبُه في محبّتِه، أنْ يُثبِتَه على الأكوان، ويقولَ ويُنشدَ لسانُ حالِه قولَ مَن يقول: [طويل]

فليتَـكَ تَـحْلـو والحياةُ مَـرِيـرةٌ ... وليتَكَ تَـرضى والأنـامُ غِضَـابُ
وليـتَ الذي بَيْني وبَينَـكَ عـامِرٌ ... وبَيْني وبَيـنَ العـالَـمِينَ خَـرابُ [١٥أ]
إذا صَحَّ مَنكَ الوُدُّ يا غايةَ الـمُنى ... فعِنـديَ ما فَوقَ الترابِ تُرابُ[1]

ثمُ قال رضيَ اللهُ عنه:

يا ربِّ يا ربِّ إنّي

كرَّرَ الاستغاثةَ والنداءَ بالرُّبوبيّـةِ تعلُّقاً بها، وفي ضِمنهِ **التوحيدُ** وهُوَ: إفرادُ القلبِ للحقِّ ذاتاً وصفةً وفعلاً.

ويقتضي التوحيدُ عدَمَ الالتفاتِ إلى غيرِ الموحَّدِ ممّا شأْنُهُ التعلُّقُ بِهِ سبحانَه، طوْعاً أو كرْهاً، ويَستلزِمُ هذا كلَّ ما سِوى الله: ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ﴾ إلى آخر الآية [الرعد: ١٥].

ومِن مُقتضَياتِ التكريرِ في الطلَب: التنوِيهُ بشأنِ المطلوبِ وكونِهِ ممّا يُعوَّلُ عليه، وهُوَ العفْوُ المسؤولُ بقولِهِ رضيَ اللهُ عنه:

---

(١) تُنسَبُ هذه الأبيات خطأً إلى السيّدة العارفة بالله رابعةَ العدَوية رضيَ الله عنها، والصحيحُ أنها لأبي فراسٍ الحمداني يُخاطب بها سيفَ الدولة، ولرقّتها وعذوبتها شاعت في المناجاة الإلهية. تُنظر الأبياتُ في «ديوان أبي فراس» ص١٦. (إياد).

أسأَلُكَ العَـفْـوَ عنّي

وإنْ عَظُمَتِ العظائم، واتّسَعَتِ الجرائم، فإنّ اللهَ جَلَّ جلالُه لا يَتعاظَمُه ذنب، وإذا تكرَّمَ على عبدٍ سَحَبَ على ذنْبِه ذَيْلَ عَفْوِه، وأَسبَلَ عليهِ جَلابِيبَ سَتْرِهِ ومَحْوِه.

والعَفُوُّ مِن أسمائه تعالى، وهُوَ: الماحي للسيِّئاتِ والهفَوات، ويَختصُّ بزيادةِ مبالغةٍ على الغَفُور. وهذا يُشعِرُ بالمحوِ، وذاك بالسِّتْر، فافهَمْ.

وكذا **الحَكِيمُ** مِن أسمائه، وهُوَ: المؤخِّرُ عقوبةَ الجاني بعدَ استحقاقِهِ إيّاها.

ولـمَّا كان وصفُه سبحانَه كذلك قال:

ولم يَـخِبْ فِيكَ ظَـنّي

لا يَخِيبُ ظَـنُّه، ولا يَضِيعُ عمَلُه، لمعرفتِهِ بجُودِهِ وكَرَمِه وحِلْمِه وصَفْحِه وعظَمتِه وكبريائه حسْبَ ما يَقْتَضِيهِ جلالُهُ الذاتيّ، وجمالُهُ الصِّفاتي، الذي هُوَ الكمالُ المطلَق، ومَن عَرَفَه حقَّ معرِفتِهِ كيفَ لا يَظُنُّ بهِ الجميلَ؟! ومَن ظنَّ بِهِ الجميلَ حصَلَ على كلِّ خَير، وزالَ عنه [١٥ب] كلُّ بُؤسٍ وضَيْر، وتحقَّقَتْ لهُ العِنْديّـةُ الإلهيّـة، إذ يقولُ سبحانَه: «أنا عندَ ظنِّ عبدي بي»(١). ولسيِّدِنا الناظِمِ نفَعَ اللهُ بِهِ: [بسيط]

حَسِّنْ ظُنونَكَ بالمولى تَـرَ البُشْرى ... فالربُّ عندَ ظنونِ العبدِ فلْتَدْرا(٢)

---

(١) أخرجه البخاري (٦٨٥٦)، ومسلمٌ (٤٨٣٢)، وغيرهما، من حديث أبي هريرة رضيَ اللهُ عنه.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثالثة من رَوِيِّ الراء)، ص٢١٦.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا مالِكَ الـمُلْكِ يا والْ

المالكُ هُوَ: الذي تَنْفُذُ مَشِيئَتُهُ في مملَكَتِه كيفَ شاءَ وكما شاءَ، إيجاداً وإعداماً، وإفناءً وإبقاءً. والـمُلْكُ هنا بمعنى المملَكة، والمالِكُ بمعنى القادرِ التامِّ القُدرة، والموجوداتُ كلُّها مملكةٌ واحدة، وهُوَ مالِكُها وقادِرُها، وإنّما كانت مملكةً واحدةً لكونِها مرتبِطةً بعضُها ببعضٍ وإنْ كانت لها كثرةٌ باعتبارٍ ومِن وَجْه.

والـمَلِكُ مِن أسمائه أيضاً، وهُوَ: الذي يَستغني في ذاتِه وصِفاتِه عن كلِّ شيء، ويَحتاجُ إليه كلُّ موجود، بل لا يَستغني عنه شيءٌ في شيء، بل كلُّ شيء، فوجودُهُ منهُ أو ممّا هُوَ منه، فكلُّ ما سِواهُ فهُوَ مملوكٌ لهُ بالحقيقة، فهُوَ إذَنْ الـمَلِكُ الـمُطلَق، ولا يُتَصوَّرُ ذلك لغيرِه.

والوالي هُوَ: الذي دَبَّـرَ أمورَ الخَلْقِ وتولّاها، وكانَ مَلِيّاً بوِلايَـتِها وسِياستِها. والولايةُ تُشعِرُ بالتدبيرِ والفعلِ والقُدرة، وما لم يَجتمعْ فيهِ جميعُ ذلك لم يَنطلِقْ عيه اسمُ الوالي. ولا واليَ للأمورِ على الحقيقةِ والتحقيقِ إلّا اللهُ عزَّ وجلّ، فإنّه المنفرِدُ بتدبِيرها أولاً، والـمُنفِّذُ للتدبيرِ بالتحقيق ثانياً، والقائمُ عليها بالإدامةِ والإبقاءِ ثالثاً.

والوليُّ أيضاً مِن أسمائه تعالى، ومعناه: الـمُحِبُّ الناصِر، وهُوَ الذي يتولّى الصّالحين [١٦أ].

ومِن وجُوهِ تَوَلِّيهِ سبحانَه لعبدِه: أن يحفظَه عنِ ارتكابِ مخالفاتِه، بل عن شهوتِه والميلِ والإرادةِ لها، أو الحَجْبِ بالكُلّيةِ عن أن تَخطُرَ بقلبِه، الذي هُوَ سببُ الـمَيلِ والإرادةِ لها.

ومِن وجوهِ التوَلِّي منهُ سبحانَه: أنْ يَثنِيَ عبدَه إليهِ بالتوبةِ والإنابةِ والتلاقي والنّدَم، الذي هُوَ في الطريقةِ أوّلُ قدَم.

ومِن وجوهِهِ: إخراجُ المؤمنينَ مِن ظُـلُماتِ الكفرِ والمعاصي إلى نُورِ الإيمانِ والطاعة، ومِنْ ظُـلُماتِ الغَفْلةِ والحُظُوظ إلى نُورِ اليَقَظةِ والحقُوق، ومِن ظُـلُماتِ الكثائِفِ والهوى إلى نُورِ اللطائفِ والتقوى، ومِنْ ظُـلُماتِ التدبيرِ والإدبارِ إلى نُورِ التفويضِ والإقبال، بكُنْهِ الهمّةِ وصدقِ التوجُّهِ إلى الله سبحانَه ـ المعبَّرِ عنه بالتصوُّفِ عندَ الطائفةِ الصُّوفيةِ رضيَ اللهُ عنهم ـ والإكثارِ منَ النوافِلِ والقُرَبِ الخالصةِ لله سبحانَه، والاستهلاكِ في المجاهَدة، الـمُثمِرةِ للمشاهَدة، والـمُنازَلاتِ التي يُنازِلُها أهلُ الله وخاصّتُه منَ الفتوحاتِ الرّبّـانية، والـمُنُوحاتِ العِرفانية، والكُشوفاتِ الإيقانية، بحسَبِ الاستعداداتِ الإنسانية، بالتحلِّي والتخلِّي اللذَينِ هما المجاهدةُ المستَلزِمةُ للشُهودِ بحكم إجراءِ عادةِ المعبُود، مِن بابِ الفضلِ والكرم والجود.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه، بعدَ أنْ أطنَبَ في الثناءِ على الله بجميلِ الصِّفاتِ وكريمِ النعوت، وألَحَّ في الدعاءِ والتضرُّع إلى الله؛ شكا إليهِ من تعاطي الظلمِ والإفك، [١٦ب] وسوءِ الفعل والتَّرْك، وشهوةِ الكلام فيما لا يعني وحبِّ الدنيا الذميمة، وذِكْرِ تقبيحِها، والاستعانةِ بالله على غَلَبَـتِها بأمانِـيِّها وحظوظِها وتقييدِها للعبدِ عنِ السلوكِ إلى الله، وعلى إصلاحِ القلب وإزاحة الغمِّ والكرب، فقال رضي اللهُ عنه:

أشكو إليكَ وأبكي

أَبُثُّ إليك شكوايَ، وأخشَعُ لكَ وأضرَعُ بتنَـهُّدي وبُـكايَ؛ لأنك العالِـمُ بسِرِّي ونَجْوايَ، وأستغيثُ بكَ وألتجِئُ إليك، ولا يصحُّ الرفعُ إلى غيرِك، لعجْزِه عنِ الرفعِ والدفع عن نفْسِه، وشكوايَ إليكَ وبُـكايَ هُوَ كما قال نفَعَ اللهُ به:

مِن شُؤم ظُلمي وإفكي

الشؤمُ: ضدُّ الخير، وظلمُ النفسِ وترْكُها وشهواتِها، وإهمالُها وآفاتِها، وتعاطِيْهَا مَعاطِيَها ومُهلِكاتِها، وارتكابُها لمساخِطِ بارئها وخالقِها، وحِرْصُها على مقتضياتِ طبْعِها منَ الشهَواتِ البهيميّـة، والأخلاقِ السَّبُعية.

والإفكُ: الكذب، وهو: الإخبارُ بالشيءِ خلافَ ما هُوَ به مِن حيث هُوَ، وعدمَ التحقُّقِ في العملِ والحال، كما أنّ الصِّدقَ يُتصوَّرُ في القولِ والفعلِ والمقامِ والحال. ومنهُ: العزمُ والوفاءُ بما عزَمَ عليه، وهُوَ الصدقُ بما عاهَدَ اللهَ عليه. ومنهُ: الصِّدقُ في الإخلاص ما ذُكِرَ اللهُ عزَّ وجَلّ، ونفيُ الشوائبِ النفسيّـةِ عنه، وهُوَ روحُها ومقصودُها وعمادُ الطريقةِ والحقيقة، ولسيّدِنا الناظم نَفَعَ اللهُ بهِ في عينيّـتِه الكبرى: [كامل]

والصِّدقَ والإخلاصَ لله احتفِظْ ... بهمـا فإنّهمـا عمـادُ الـمشرَعِ[1] [١٧أ]

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدةُ الخامسةُ من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٤.

المشرَعُ مِن أسماءِ الطريق، وكذا: الـمَهْيَعُ، والسبيلُ، والمنهجُ، والمسلَكُ، والجادّةُ، والصِّراط.

ثُم قال:

وسوءِ فِعْلي وتَـرْكي

أي: أشكو إليك مِن سوءِ الفعلِ والتَّرْك، وهُوَ على أوجُه: تارةً يكونُ العملُ غيرُ الـمَرضِيّ، أو فعلُ المأمورِ بهِ على غيرِ الوجهِ المندوب إليه، أو عدَمُ الصِّدقِ والإخلاص، وتطرُّقُ الآفاتِ الـمُحبِطاتِ فيه. ومِن سوءِ الفِعلِ في العمل: عدَمُ الإحسان فيه، والإحسانُ في الأشياءِ أهمُّ منها كما قيل. وفي الحديث: «إنّ اللهَ كتبَ الإحسانَ على كلِّ شيء»[1]. والإحسانُ في الأشياء بحسَبِها واعتباراتِها: فعلاً وترْكاً، زمناً ومكاناً. ومِن سوءِ الترْكِ أن يترُكَ الإنسانُ ما أُمِرَ بِهِ وكُلِّفَـهُ منَ الواجباتِ والمندوبات وحُسنِ المعاملاتِ والجِدِّ فيها والاجتهاد، ولزومِ سُبُلِ الرشادِ وطرُقِ السَّداد.

وكما يجبُ وينبغي أن يُحسِنَ ويُحكِمَ ما يفعَلُه لربِّه سبحانَه، كذلك يجبُ عليه ويلزَمُ أن يُحسنَ ما يترُكُه له، وتصحيحُ التوبة وتحسينُ الأوْبة عن كلِّ ما يُبعِـدُه مِن ربِّه ويُنجيهِ ـ عند حضرةِ قُربِه ـ مِن جميع المخالفات، وأن يترُكها ابتغاءَ وجهِه، ويحتفظَ مِن أن تخطُرَ بقلبِه، ولا يترُكُها خوفاً منَ الـخَلْق ولا حياءً منهم، ولا لحظِّ نفْسٍ عاجل، فافهَمْ.

---

(١) أخرجه الإمام مسلمٌ في «صحيحه» (٣٦١٥)، وغيره، من حديث شدّاد بن أوس رضيَ الله عنه.

ثُم قال:

وشهوةِ القيلِ والقالْ

أي: أشكو إليكَ أيضاً مِن شهوةِ النفْس في القيلِ والقال.

والشهوةُ: ميلُ النفْسِ إلى الشيءِ بحسْبِ ما يُلائمُ الطبعَ ويُوافقُه ممّا ليس لهُ عاقبةٌ [١٧ب] ولا جَدْوى في الدارِ الآخرة.

والقيل هُوَ: الكلامُ الـمَقُول، والقالُ كذلك. ويصحُّ أن يكونَ أراد بالقال: ما يقولُه الإنسانُ نفْسُه، والقيل: ما يسمعُه من غيرِه، والمرادُ بهما هنا: الكلامُ والنُّطقُ فيما لا يعني، وهُوَ الذي لا يعودُ منه على قائلِهِ نفْعٌ في آجلِهِ ولا عاجلِهِ ممّا هُوَ وسيلةٌ إلى الآجِل ومُعينٌ عليه.

وأعظمُ ذلك وأفحَشُه وأقبحُه هُوَ ما حَرُمَ:

كالغِـيْبةِ، وهي: ذكْرُ المسلم في غَيْبَتِهِ بما يكرهُ معَ إرادةِ التنقيصِ له.

والنّميمةِ، وهيَ: نقلُ كلامِ الغيرِ إلى الغيرِ قصْدَ الفُرقةِ بينَهما.

والكذبِ، وهُوَ: التحدُّثُ بخلافِ الواقع، وقد تقدَّم ذكْرُ شيءٍ منه.

والـخُلْفِ بالوعد، وهُوَ: أن تَعِدَ بشيءٍ ثُم لا تفيَ بِهِ معَ القُدرةِ عليه وزوالِ العذرِ المانع.

واليمينِ الكاذبة، وشهادةِ الزُّور، والسبِّ واللعنِ والدعاءِ بالشرّ، وإفشاءِ السرّ، وغيرُ ذلك كثيرٌ جداً.

ولسيّدِنا الناظم نفَعَ اللهُ به: [بسيط]

واحفَظْ لسانَكَ مِن طعنٍ على أحدٍ مـنَ العبادِ ومِن نقْلٍ ومِن كذِبِ[1]

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

وحبِّ دُنيا ذَميمَهْ

أي: وأشكو إليك مِن حبِّي للدُّنيا الذميمة.

والحبُّ هُوَ: ميلُ القلبِ وإرادتُه للشيءِ الـمُلائم لهُ طبعاً، سواءٌ كان ذلك الشيءُ حسِّيّاً كالخَلْق والصُّورةِ الحسَنة، أو معنوياً كالخُلُقِ الباطنِ الجميل.

والدنيا منَ الدُّنُوّ، وهيَ: الحالةُ الدانيةُ القريبةُ، الكائنةُ قبلَ المهات، والآخرةُ ما بعدَهُ.

وباعتبارٍ آخر، الدنيا: كلُّ ما أريدَ بِهِ وجهُ الله والتقوى. وظاهرُ [١٨أ] الدنيا ما شرَحَهُ اللهُ عزَّ وجَلّ منَ الأعيانِ الظاهرةِ في قولهِ: ﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴾ إلى آخر الآية [آل عمران: ١٤]، وباطنُها: إرادةُ الإنسان وشهوتُه مِن تلكَ الأعيان مِن غيرِ قصدٍ، استعانةً بها على سلوكِ سبيل ربِّه وشؤون آخرتِه وطلبِ القُربِ منه ونيلِ مَرْضاتِه.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة العاشرة من رَوِيِّ الباء)، ص٨١.

وباطنُ المعنى بقوله: ﴿حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ﴾ أي: النفْسيّةِ الطبْعيةِ بُحكمِ الشرَهِ وقضاءِ النَّهْمةِ فقط، لا بحُكمِ البشريّةِ الـمُقتضيةِ الميْلَ إلى ما يلائمُ والنفْرَ عمّا يكرهُ طبعاً. ولا تزولُ ما دام الجسدُ باقياً.

ويدخلُ في الدنيا جميعُ الأخلاقِ القبيحةِ الباطنةِ الواجبِ تنزيهُ القلبِ عنها، كالكِبْرِ والعُجْبِ والرياءِ وغيرِ ذلك منَ الخبائثِ والرُّعوناتِ ممّا لا يأخذُهُ الذكْرُ ولا يأتي عليه الحصر.

وقولُه: (ذميمَهْ) أي: مذمومةٌ حقيقةً، شرعاً وعقلاً، وذلك بتذميم الله لها وتحقيرِهِ إياها وسقوطِها من عينِه وكونِها لم تزِنْ عندَه جناحَ بعوضة، وكونِهِ لم ينظُرْ إليها منذُ خَلَقَها، وصَرْفِهِ لها عن خواصِّه ومُحبّيهِ منَ الأنبياءِ والصِّدِّيقينَ والعارفينَ والأولياء، لكونِها صارفةً لهم عن طاعاتِه، والتمتُّع بلذيذِ مناجاتِهِ، إذْ هيَ عدوّةُ الله من حيثُ قطْعُها الطريقَ على عبادِهِ إليه بعبادتِه، وعدوّةُ أوليائِه مِن حيث جرَّعتْهم كؤوسَ مرارةِ الصبرِ فيها على العبادة، وحيثُ قاسَوا لزومَ سُبُلِ العزوفِ عنها والزَّهادة، وعدوّةُ أعدائه لخروجِها عنهم بعدَ إلْفِهِم لها وسلبِها [١٨ب] لَذّاتِها بعدَ التمكّنِ منها، ولو لم يكنْ مِن مَهانتِها وخِسّتِها وحقارتِها إلّا أنه يُعصى اللهُ فيها، لكان ذلكَ الغايةَ في الذمّ، كيف لا وحبُّها رأسُ كلِّ خطيئة[١]، وعلّـةُ كلِّ بليّـة، ومَوطِـنُ كلِّ رَزِيّة، عاجلاً وآجلاً، وسببُ الحِرمان، والنزولِ عن جوارِ الله الـمَلِكِ الديّان،

---

(١) أخرج البيهقي في «الشعَب» (١٠٠١٩) وابنُ أبي الدنيا في «ذمّ الدنيا» (٩٠) عن الحسن البصري مرسلاً: «حب الدنيا رأس كل خطيئة»، وهو ضعيف، ويُروى من كلام مالك بن دينار ومن كلام المسيح عليه السلام. يُنظر: «فيض القدير» للمناوي ٣: ٣٦٩-٣٦٩. أمّا المعنى فصحيحٌ تشهد له نصوصُ الشريعة.

في أعلى الجِنان، والخروجِ مِن حيِّزِ أهلِ القُربِ منَ النبيينَ والصدِّيقين، والشهداءِ والصّالحين، والكونِ في أسفلِ دركاتِ النّيران، معَ مقارفةِ الخِزيِ والهوان.

وكونُها بهذهِ المثابة، لكونِها كما قال:

مِن كلِّ خيرٍ عَقِيمَهْ

أي: أنه بلَغَ مِن ذَمِّها وقُبحِها أنها عقيمةٌ عن كلِّ خير، لا تَلِدُ خيراً قطّ، بل كلَّ بؤسٍ وضَيْرٍ وفتنةٍ وشرّ، لأنها لم تُبرِزْ إلّا حقيقةَ وصفِها، ولم تُنتِجْ إلّا مُستحِقَّ نعتِها مِن هجوم البلايا والرَّزِيّات، وارتكابِ المعاصي والخطيئات، والعَكَرِ على ذَوِيها ومُحبّيها بعظائِمِ دواهيها، حتى ذوّقتْهم وَبالَها وتحوُّلَ أحوالِها، بانتقالِها عنهم وزوالِها، فطحنَتْهم طحْنَ الحصِيد، ووارتْهم تحتَ الصَّعِيد، فترَكتْهم أحوجَ ما كانوا إليها، وانصرَفَتْ عنهم أحزَنَ ما كانوا عليها.

ثُم قال:

فيها البلايا مُقِيمَهْ

لأنّها دنيّـةٌ ذميمة، وعن كلِّ خيرٍ عقيمة، لم تزَلْ فيها البلايا مُقيمةٌ ولا تزال، ولم تُحلَّ عنها بحالٍ منَ الأحوال، لوصفِها بذلك خِلقةً وطبعاً وجِبلّة.

ومتى يُـتَصوَّرُ أنْ تزولَ البلايـا منهـا، أو تُـحوَّلَ الرزايـا عنهـا، أو تُـزاحَ هُـمُومُها، أو تنقشعَ غمومُهـا، وهيَ كما قيـلَ: إنْ أحسنتْ ساعـةً [١٩أ] أساءتْ سَنـةً، وإنْ أساءتْ مـرّةً جعلتْهـا سُنّـةً! لا يـخلو صَفْوُهـا عن شوائـبِ الكـدَر،

ولا يصفو شاربُها عنِ المكدِّراتِ الكُبَر. صحيحُها يُعقِبُ السَّقَم، وشبابُها يسوقُ إلى الهرَم. إن أفرحَتْ أترَحَتْ، وإن أحسَنتْ أحزنَتْ، وإن جادَتْ عادتْ، وإن سكنَتْ مادتْ، وإن أطمعَتْ أحرَمَتْ، فما قضى أحدٌ منها لِبانتَه، وما انتهى أرَبٌ [منها] إلّا إلى إرَب.

ثُم قال:

وحشْوُها افاتْ واشغالْ

فما فتحتْ لصاحبِها بابَ شُغُلٍ إلّا وفتحتْ له عشَرةَ أبواب، وما ألبسَتْهُ ثوبَ مسرّةٍ إلّا وخلَعَتْ عنهُ منَ الفرج عشَرةَ أثواب، ولسيّدِنا وشيخِنا الناظم نفَعَ اللهُ به في وصْفِها نظماً: [بسيط]

دارُ الغرورِ ومأْوى كلِّ مُرزيةٍ ... ومَعدِنُ البؤْسِ واللَّأْواءِ والمِحَنِ
الزُّورُ ظاهرُها والغَدْرُ حاضِرُها ... والموتُ آخرُها والكونُ في الشَّطَنِ
تُبيدُ ما جَمعَتْ تُهينُ مَن رفَعَتْ ... تَضُرُّ من نفعَتْ في سالفِ الزّمنِ
سَحّارةٌ تُحكِمُ التخييلَ حتى يُرى ... كأنّه الحقُّ إذْ كانتْ منَ الفتَنِ(١)

وقال أيضاً: [طويل]

ومَن عرَفَ الدنيا تحقَّقَ أنّها ... بلا مِرْيةٍ مُستَوطَنُ البؤسِ والشرِّ(٢)

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة التاسعة من رَوِيِّ النون)، ص٥٠٥.
(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الحادية والعشرون من رَوِيِّ الراء)، ص٢٨٢.

وقال أيضاً:

هـذهِ الـدارُ مـا فيهـا سـُرورْ ... قطُّ يصفُو عنَ اخلاطِ الكدَرْ

كـلُّ مَـن حَبَّهـا عقلُـهْ يـدورْ ... في خـلالِ الـمزابـلْ والقـذَرْ

لا تـعـرِّجْ عـلى دارِ الغـرورْ ... واجتنِبْهـا ووافِـقْ مَن صبَـرْ [١٩ب]

واجعَلِ الزُّهدَ زادَكْ والوطنْ ... فهْوَ راسُ السِّيـادَهْ والغِنَى(١)

وقال في العينيّـةِ الكبرى: [كامل]

والزُّهدُ في الدنيا الدَّنِيِّ متاعُها ... دارِ الـوباءِ فما بها مِن مَرْتعِ(٢)

أعاذَنا اللهُ منها بمَنِّـهِ وكرَمِهِ آمين.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

يا ويْحَ نفسي الغَوِيّـهْ

ويْح: كلمةُ تذميمٍ وتعيير، وتحزُّنٍ وتندُّم. والنفْسُ المرادةُ هنا هيَ: موطنُ الشهـوةِ والغضب، الخارجـةُ عن مقتضى سياسةِ الشرع والعقل، وعدمِ الانقيـاد والانقهارِ لهما، والتوقفِ تحتَ إشارتِهما والائتمارِ بما فيه أمَـر، أو الانزجار عمّا عنهُ زجَر. والغَوِيّة: الغاويةُ، منَ الغَيِّ وهُوَ: ضدُّ الرشَد، وسيأتي معناهما.

وهذه النفسُ بعينها هيَ النفْسُ الأمّارةُ بالسوء، السالكةُ سبيلَ الغَيّ، الناكبةُ عن طريقِ الرُّشد، الـمُنحَطّةُ بصاحبِها: مِن أوجِ عليِّين، الجامحةُ به في ورطةِ سِجِّين،

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثامنةَ عشرةَ من رَوِيِّ النون)، ص٥٣١.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٤.

التي لم تتأدَّبْ ولم تتهذَّبْ، وتأديبُها وتهذيبُها بتقويمِها وتعديلِها عن ميلِها إلى مقتضى طبعِها وشهوتِها، السائقِ لها والـمُفضي بها إلى هلاكِها المؤبَّدِ بالبُعدِ منَ الله عزَّ وجَلّ، والحِجابِ عنه، الـمُعبَّرِ عنهُ بالجحيمِ والتَّصْليةِ بنارِ الله الموقَدةِ الموصَدةِ، التي تطّلعُ على الأفئدة، والانحيازِ عن لَذّةِ نعيم الأبرار، والتمتُّع بلَذّةِ النظرِ إلى وجهِ الله في دارِ القرار، إلى غِمارِ الفُجّار في دارِ البوار. ولا تصلُحُ للقُربِ منَ الله عزَّ وجلَّ والنزولِ في جوارهِ إلّا [٢٠أ] بإصلاحِها وتنقيتِها وتطهيرِها والعدولِ إلى تعديلِها وتقويمِها بكسرِ شَرَهِ الشهوةِ وسَوْرةِ الغضبِ وتسخيرِها تحت إشارةِ الشرعِ والعقلِ في كلِّ وِردٍ وصَدَر، فبذلكَ تستقيمُ النفْسُ وتنعدل.

والشرْعُ عبارةٌ عنِ: الخطابِ المتوَجِّهِ إلينا منَ الله عزَّ وجَلَّ على لسانِ رسُلِه، **والعقلُ** عبارةٌ عن: المعنى القائمِ في الإنسانِ المخصوصِ بِه، الصالحِ لتلقّي ذلك الخطابِ الإلهيِّ الآنفِ ذكْرُه، وهُوَ محَلُّ التكليفِ المعبَّـرُ عنهُ بالأمانةِ التي عَجَزَتِ الجبالُ عن حملِها وأبَيْنَ أن يَـحْمِلْـنَها، بمعنى أنّ الله عزَّ وجَلّ ـ بحكمتِهِ ـ لم يجعلْ لها قوةً واستعداداً وقابليةً للتكليفِ والخطابِ مثلَما جعَلَ للإنسانِ. وبهذا يظهرُ شرَفُه على سائرِ الموجوداتِ: علوّاً وسُفْلاً، وكونُه هُوَ المقصودَ منها، وهُوَ الجزءُ الجامعُ لجميعها، كما قيل:

أتحسَـبُ أنـك جُــزءٌ صغيـرٌ   وفيـكَ انطـوى العالمُ الأكبرُ

ولكنه كان ظَـلُوماً لنفسِهِ، بإهمالِها وشهَواتِها، وترْكِها ومَعاطِيَها ومهلِكاتِها، جَهُولاً لنعمة ربِّه عليهِ في تشريفهِ إياه وإضافتِهِ إليه، ولو عَرَفَه حقَّ معرفتِه لَشكرَهُ على نعمتِهِ ودأَبَ في عبادتِه، واستفرَغَ طاقتَـهُ ومستطاعَهُ في طاعتِه، ولزِمَ سبُـلَ

الهدى، وجانبَ الزلَـلَ والرَّدى، فبذلك تصلُحُ النفْسُ الأمّارةُ وتستقيمُ على جادّةِ الحقِّ وشاكلةِ الصواب وسَنَنِ الاستقامة.

والنفْسُ الأمّارةُ بالسوءِ، وهي الغَوِيّةُ عن طريقِ الرُّشد، الـمُعبَّـرُ عنها بقولِ الناظم نفَعَ اللهُ به:

عنِ السبيلِ السَّوِيّـهْ

أي: عنِ الطريقِ المستقيمةِ إلى سبيلِ الزَّيْغ والـمَلامة [٢٠ب]، الـمُعقِّباتِ لصاحبِها والمعرِّجِ عليها الحسرةَ والندامة.

ثُم بيَّنَ الناظِمُ نفَعَ اللهُ به كونَ هذه النفْسِ أمّارةً بالسوءِ لا تأمُـرُ بخيرٍ قطّ بقولِه:

أضْحَتْ تُـرَوِّجْ عليَّـهْ

أي: أنّ هذه النفْسَ الأمّارةَ بالسوء، جعَلَتْ وصارتْ تُروِّجُ على صاحبِها، والـمُتدَلِّي بحبلِ غرورِها، الشرَّ في معرضِ الخير، بتحسينهِ وتزيـينهِ، حتى يَـظُـنَّـهُ الخيرَ نفْسَه، وذلكَ بتسويلاتِها الكاذبة، التي هيَ لشهَواتِها جاذبة، ولها عن ربِّها حاجبة، وقصدُها بذلكَ الظفَرُ بمطلوبِها، وما يُلائمُها مِن محبوبِها، كما قال رضيَ اللهُ عنهُ:

وقصْدُها الجاهْ والمالْ

ومعنى (الجاه): تملُّكُ القلوبِ وانقيادُها وتسَخُّرُها، وكونُها مقهورةً في طاعةِ مَن قامَ لهُ الجاهُ. و(المال): عبارةٌ عنِ الأعيانِ الـمُتملَّكة.

وحبُّ الجاهِ والمال مِن أضرِّ شيءٍ دخَلَ القلب، وأشدُّ إفساداً لهُ، وفي الحديث عنهُ ﷺ: «ما ذئبانِ ضارِيانِ أُرسِلا في زَريبةِ غنمٍ بأشدَّ إفساداً لها منَ الجاهِ والمالِ في قلبِ المؤمن»(١)؛ لأنهما مُلْهِيَانِ عنِ الله عزَّ وجَلَّ بالغفلة، وصارِفانِ وجهَ القلبِ إلى تدبيرِ شهَواتِهما وقضاءِ نَـهَماتِهما، واستهلاكِ القلبِ واستغراقِ القالبِ في تحصيل ذلك، والعثورِ على ما هنالك. وبذلك يَنحجِبُ القلبُ عنِ الرُّقيِّ إلى أعلى عليِّـين، بانحطاطِهِ إلى أسفلِ سافلين. ومتى يتّسعُ القلبُ للتدبيرِ والعملِ لآخرتِه وقدِ استغرقَتْ دنياه جُملتَه وأخذَتْ كليّـتَه؟! وكيفَ لا والآخرةُ والدنيا كالضَّرّتَـيْنِ: مهما أرضيْتَ إحداهُما أسخَطْتَ الأخرى! وكالمشرقِ والمغرب: مهما قرُبْتَ مِن أحدِهما بعُدْتَ عنِ الآخر، [٢١أ] و﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤]، وكلُّ ذلكَ شؤمُ الجاهِ والمال.

ووجهُ ضرَرِهما وكونِهما صارفَـيْنِ عنِ الله عزَّ وجَلَّ طلبُهما لغيرِهِ سبحانَه مِن غيرِ قصدِ استعانةٍ بهما على سلوكِ سبيلِهِ الـمُوصِلةِ إليهِ سبحانَه، أو أنْ يَطلبَـهما بتلبيسٍ أو عبادةٍ لا يصلُحُ التقرُّبُ بها إلى الله تعالى، إذْ لا يصحُّ طلبُ الدنيا بالدِّين، كما لا يصحُّ إرضاءُ المخلوقينَ بسُخطِ ربِّ العالمين، فمتى قصَدَ بهما التوسُّلَ إلى حضرةِ ربِّه والكونَ في حيِّزِ قُربِه فقد سلَكَ منهجَ السلامة، ونجا مِن سِبَاعِ مَهْـيَـعِ النّدامة، وفي الحديث: «الدنيا مزرعةُ الآخرة، ولذلك خُلِقَتْ»(٢).

---

(١) أخرجه أحمد (١٥٢٢٤، ١٥٢٣٣)، والترمذي (٢٢٩٨)، وغيرهما، من حديث كعب بن مالكٍ الأنصاري رضيَ الله عنه. وللحافظ الزين ابن رجب جزءٌ مفرَدٌ في شرح هذا الحديث، مطبوع.

(٢) وهو حكمةٌ وليس بحديث. قال الحافظ السخاوي في كتابه «المقاصد الحسنة» إنه لم يقف عليه مسنَداً، وذكره الملا علي القاري في «الموضوعات».

ثُم أردَفَ الناظمُ نفَعَ اللهُ به الشكوى بهذه النفسِ إلى الله عزَّ وجَلَّ والاستعانةَ بِهِ سبحانَه عليها عندَ الغلَبة؛ لأنّ النفْسَ أمّارةٌ بالسوءِ إلّا ما رَحِمَ ربي، فقال رضيَ اللهُ عنه:

يا ربِّ قد غَلَـبَـتْني

المعنى: أنّ هذه النفْسَ الموصوفةَ بهذه الأوصافِ والمنعوتةَ بهذه النُّعوتِ مِن شأنِها أن تغلِبَ صاحبَها وتجذِبَه وتَستزِلَّهُ مِن ذُروةِ مستَـقَـرِّهِ العُلْويِّ إلى حَضِيضِ طبْعِها السُّفليّ، وتستسخِرَهُ وتَستجِرَّهُ في قضاءِ حِيَـلِها وتدبيرِ هيكلِها، وتميلَ بهِ عن طريقِ الرُّشد والهدى إلى سبيل الغَيِّ والرَّدى، وتُروِّجَ لهُ الشرَّ في معرِضِ الخير، فتُـرِيَـهُ الحسَنَ قبيحاً والقبيحَ مليحاً، وليس قصدُها ومُرادُها في ذلكَ إلّا الجمعَ والمنْعَ للدارِ التي حشوُها المِحَنُ كما تقدَّم، فيبوءُ بالخُسرانِ والحرمانِ صاحبُها، ولذلك قال نفَعَ اللهُ به في التائية [٢١ب]: [طويل]

ومَن كانتِ الدنيا قُصارى مُرادِهِ فقد باءَ بالـخُسرانِ يومَ القيامةِ(١)

ثُم قال نفَعَ اللهُ بِهِ:

وبالأماني سبَـتْـني

المرادُ بها: لا تزالُ تُـرَجِّيهِ وتُمَنِّيهِ أموراً ليس يُدرِكُها. والأمانيُّ مِقْطاعُ عنِ الـمِنَن، وذلك بتسويلاتِها الكاذبةِ وتسويفاتِها البعيدةِ، حتى تَسبِيَهُ بأمانِـيِّها وإجابةِ

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٧.

داعِيْها، وتستعبدَهُ وتسترِقَّـهُ في تحصيلِ مآربِها الباطلة، وتكُبَّـهُ في حظوظِها العاجِلة، كما قال رضيَ اللهُ عنه:

وفي الـحُظُوظِ كبَـتْني

فتصيِّرُهُ النفسُ طوعَ شهوتهِ وأسيرَ هواه، ويكونُ ذلك ديدَنَهُ وهِجِّيراهُ[1]، ولم يلتفتْ إلى غيرِه ممّا سواه، ليس لهُ شُغْـلٌ إلّا في ذلك، ولا ينبغي إلّا له، ولا تعريجَ إلّا عليه، ولا سكونَ إلّا به، ولا ركونَ إلّا إليه، ولم يبْقَ فيه مُتسَعٌ لغيرِهِ، حتى كأنّه لم يُخلَقْ إلّا له، فينسى بذلك مبدأهُ ومعادَه، ومقصودَ ربِّهِ منهُ ومُرادَه، مِن لزومِ العبادة، وسلوكِ سبيلِ السعادة، الراقيةِ بمُنتهجِها إلى مراتبِ السيادة، الآيلةِ بهِ إلى الحُسنى وزيادة، وذلكَ بالنزولِ في جنّاتِ النعيم، والتمتُّعِ بالنظرِ إلى وجهِ الله الكريم.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

وقيَّـدَتْني بالاكبالْ

أي: أنّها تُحسِّنُ وتُزخرِفُ لهُ مرادَها وسؤالَها، وتمُـدُّ لهُ شِراكَها وحبالَها، حتى تُقيِّدَهُ بأكبالِها، فتزُجَّ بهِ في لُـجّـةِ ضرَرِها، وترميَهُ بكبارِ شَرَرِها، وتُغرَّه بتزيينِها وتحسينِها، فتُـكبكِـبَهُ في سجِّينِها، [٢٢أ] ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤]؛ فيتذكّرون،

---

(١) هِجِّيراه: دأبُه وديدَنُه وعادتُه. «لسان العرب» (هجر).

﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غافر: ١٣]، فيُسرعُ ويُجيبُ، ويرجعُ إلى تعديلِها وتسويتِها، ويَتُوبُ إلى تطهيرِها وتزكيتِها، فيُلهِمُها فجورَها وتقواها، ويَكُفُّها عن متابعةِ هواها، لِيبُوءَ بالفوزِ والفلاحِ، والسعادةِ والنجاحِ، والحصولِ على سَنيِّ الأرباحِ: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ * فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ﴾ [النازعات: ٤٠-٤١]، ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا * وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾ [الشمس: ٩-١٠].

ولسيِّدِنا الناظم نفَعَ اللهُ به في وصفِ النفْس وذمِّها، والأمرِ بمخالفتِها، والزجرِ عن متابعتِها: [بسيط]

وخالِفِ النفْسَ واستشعِرْ عداوتَها ... وارفُضْ هواها وما تختارُهُ تُصِبِ
وإنْ دَعتْكَ إلى حظٍّ بشهوتِها ... فاشرَحْ لها غِبَّ ما فيهِ منَ التعَبِ(١)

ولهُ أيضاً: [طويل]

وخالِفْ هوى النفْسِ التي ليس قصدُها ... سوى الجمعِ للدارِ التي حشْوُها المِحَنْ(٢)

ولهُ أيضاً في العينيّةِ الكبرى: [كامل]

وهواكَ جاهِدْهُ جهادَ منازعٍ ... ومخالفٍ مثلَ العدُوِّ الأبشعِ(٣)

وقال غيرُهُ شعراً: [بسيط]

توَقَّ نفسَكَ لا تأْمَنْ غوائلَها ... فالنفسُ أخبثُ مِن سبعينَ شيطانا

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة العاشرة من رَوِيِّ الباء)، ص٨١-٨٢.
(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثامنة من رَوِيِّ النون)، ص٥٠٣.
(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٥.

ثُم لـمّا ذكَرَ الناظمُ رضيَ اللهُ عنهُ ونفَعَ بِهِ الدنيا والنفْسَ، وشكا إلى الله عزَّ وجَلّ منَ الظُّلم والإفكِ والحبِّ للدُّنيا الذميمةِ واتّباعِ هَوى النفْسِ الغويّـةِ عن طريقِ الهدى والرُّشد، وأوضَحَ وبيَّنَ وحذَّرَ [٢٢ب] وأنذَر، ونصَحَ فلم يُبقِ في ذلك ولم يَذَرْ، لم يَـتـرُكْ في نصحِهِ جهداً ولا مُستطاعاً، وبذا عرَفَ أنه لا نجاةَ للإنسانِ مِن كبَواتِ النفْس ونزَغاتِ الشيطان والتورُّطِ في أُحبُولةِ[1] الدنيا إلّا بالاستعانةِ بالله تعالى، وأنّ بيدِه الفضلَ يؤتيهِ مَن يشاء، وأنه لا عاصمَ مِن أمرِ الله إلّا مَن رَحِم، فقال رضيَ اللهُ عنه:

قدِ استعنْـتُكَ ربّي

أي: قدِ استعنْتُ واستنصَرْتُ بكَ وتوكّلتُ عليكَ والتجأتُ إليك، في جميع حالاتي وسكَناتي ومتعلَّقاتي، وذلك لعلمِهِ أنه مدبِّـرُ أمرِه وسائسُه، ومحيطٌ بهِ، وأنه ليس لغيرِهِ منَ الأمر شيء، إذ مِن شأنِ كلِّ ما سواه التعلُّقُ بهِ واللَّجَـأُ إليهِ والعكوفُ على بابِهِ والوقوفُ بفِنائه، والانتماءُ إلى كريم جودِه وعظيمِ نوالِه، والتسليمُ والاستسلامُ تحتَ مجاري قضائه، وما للعبدِ معَ مولاهُ إلّا الانطراحُ لهُ، والتفويضُ والسكون في كلِّ الأحوالِ والشؤون، ولزومُ بُدِّهِ اللازم، وهُوَ اللهُ عزَّ وجَلّ، والخدمةُ له، واستفراغُ الإمكانِ والطاقةِ في عبادتِهِ التي خُلِقَ لها بمقتضى قولِهِ تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦]. وروحُ العبادةِ ولُبُّها، بل حقيقتُها ومقصودُها هُوَ الإيمانُ بالله تعالى والإخلاصُ والتوحيدُ لهُ عن شوائبِ الاعتقاداتِ الفاسدة، كالشكِّ والبدعة.

---

(١) الأحبُولة والحِبالة: ما يُصادُ بها من أي شيءٍ كان. «لسان العرب» (حبل).

ومحلُّ الإيمان واليقين والتقوى هُوَ القلب، فصار مِن أهمِّ الـمُهمّاتِ: علاجُهُ ومُداوتُه، فلذلكَ استعانَ بالله على ذلك، فقال رضيَ اللهُ عنهُ:

على مداواةِ قلبي

والقلبُ: موضعُ نظرِ [٢٣أ] الحقّ، والقالَبُ: مَطمَحُ نظرِ الخَلْق، وهُوَ المعنَى الذي خُصَّ بِهِ الإنسانُ مِن بينِ سائرِ الحيوانات، ويُطلَقُ عليه اسمُ: الرُّوحِ الأمْرِيِّ الرَّبِّيِّ المضافِ إلى الله تعالى في قولهِ: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]، وقوله: ﴿وَنَفَخۡتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾ [الحجر: ٢٩]. وهذا الروحُ الشريفُ شأنُه التوجُّهُ إلى تدبيرِ القالَبِ الجسميِّ والهيكلِ الرسمي، ومتعلِّقٌ بِهِ تعلُّقاً معنوياً، ومأمورٌ بأنْ يدبِّـرَه ويَسُوسَه حسْبَ ما أمَـرَ بِهِ الشرع.

ثُم إنه لا يحصُلُ للإنسان حقيقةُ القُربِ مِنَ الله تعالى والنزولِ في جوارهِ ونيْـلِ الزُّلفى لديْـه إلّا بتطهيرِهِ وتزكيتـهِ وتنزيهِـهِ وتخليتِـهِ عنِ الأخلاقِ الرّديّـة، والرُّعوناتِ النفْسيّـة، والنزَعاتِ الشيطانية، وهذه هيَ السلامةُ المرادةُ والـمَعْنيّـةُ بقولهِ تعالى: ﴿إِلَّا مَنۡ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلۡبٖ سَلِيمٖ﴾ [الشعراء: ٨٩] أي: منَ الصِّفاتِ الخبيثةِ الشيطانية النفْسيّـةِ والسَّبُعيّـةِ والبَـهِيمِـيّـة، وذلك مثلُ: الحُبِّ للدنيا، والكِـبْـر، والرِّياء، والعُجْب، والحقدِ والحسَد، والشُّحِّ والبُخل، وحبِّ الجاهِ والمال، والاغترارِ بالله تعالى، والاسترسالِ بمقتضى الشهوةِ والغضَب، وغيرِ ذلك مِن خبائثِ الأخلاق ورذائلِ الطِّباع. فبذلك يحصُلُ على السلامةِ الموعودةِ بها النجاة.

وبتحليةِ القلبِ بالأخلاقِ الشريفة والنعوتِ الـمُنيفة، يُشرِفُ ويَستعدُّ ويَصلُحُ لنزولِ معرفةِ الله وقوةِ الإيمان به، وهُوَ عبارةٌ عن: اليقينِ الذي يصيرُ بِهِ الغيبُ كأنه شهادة، قال سيّدُنا الناظم: [طويل]

عليكَ بتحسينِ اليقينِ فإنهُ إذا تَمَّ صارَ الغَيبُ عيْناً بلا نُكْرِ[1]

[٢٣ب] واليقينُ رأسُ الأمور، وأساسُ الخيرات، ومعدِنُ الفضائل، وأجَلُّ الوسائل الراقيةِ بسالِكها إلى أوْجِ السابقين وشَأْوِ الصِّدِّيقين، وهُوَ عبارةٌ عن: ثباتِ الإيمانِ في القلبِ وقوّتِهِ ورسوخِ أصولِه وتمكُّنِ قواعِدِه، معَ نفْيِ التشكُّكِ والتردُّد، وغلَبةِ الاعتقاداتِ الإيمانية الـمُثمرةِ للحقائقِ الإيقانية، واستيلائها على القلب، فعندَ ذلك يصيرُ كأنه الطَّودُ[2] الشامخ، والعَلَمُ الباذخ[3]، ولا تُزَعزِعُهُ حوادثُ الشكوك، ولا تُزلزِلُهُ طوارقُ الأوهام، بل لا يُتصوَّرُ ذلك. وأنّى يُتصوَّرُ والمتحقِّقُ بذلك يقول: لو كُشِفَ الغطاءُ ما ازددتُ يقيناً، وإن كانْ يزدادُ كشفاً ووضوحاً.

وقال ﷺ: «مِن أقلِّ ما أوتيتُم: اليقينُ وعزيمةُ الصَّبر»[4]. ومَن أوتي حظَّه منهما لم يُبالِ بما فاتَه مِن قيامِ اللّيلِ وصيام النهار.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الأولى من رَوِيِّ الراء)، ص٢٠٩.

(٢) الطَّود: الجبل العظيم.

(٣) الباذخ: العالي.

(٤) قال الحافظ العراقي في «تخريج الإحياء»: لم أقف له على أصل، وروى ابنُ عبد البر من حديث معاذ: «ما أنزل الله شيئاً أقلَّ من اليقين، ولا قسمَ شيئاً بين الناس أقلَّ من الحلم». انتهى.

ولا يُفهَمُ مِن هذا احتقارُ الأعمالِ الظاهرة، وإنّما ذلك بالنسبةِ إلى إضافتِها إلى عملِ القلب الذي قليلٌ منه يعدِلُ كثيراً منها.

وعلمُ اليقين: بإزاءِ الحقيقةِ الإسلامية العمليّـة.

وعينُ اليقين: وهُوَ في موازنةِ الحقيقةِ الإيمانيةِ العِلْمِيّـة.

وحقُّ اليقين: وهُوَ بإزاءِ الحقيقةِ الإحسانيةِ المعنويّـة.

وبالجُملة، فاليقين هُوَ: الأمرُ كلُّه، قال ﷺ: «اليقينُ: الإيمانُ كلُّه»[1]. ولسيِّدِنا الناظم في التائية: [طويل]

عليكَ بتصحيحِ الأساسِ الذي هُوَ ... يقينٌ ورأسُ الدِّينِ من غيرِ مِرْيَةِ

فمِنْ علمِهِ إن صَحَّ صحَّتْ به لكَ الْـ ... ـحقيقةُ مِن إسلامِكَ العمَليّةِ [٢٤أ]

ومِنْ عيْنِـهِ إن أشرقَتْ أشرقَتْ لك ... ـحقيقةُ مِن إيمانِكَ العِلْميّةِ

ومِن حقِّه إن حقَّ حقَّتْ لك الـ ... ـحقيقةُ مِن إحسانِكَ المعنويّةِ

مقاماتُـهُ تسعٌ عليك بحفظِها ... وإحكامِها وابدَأْ بتصحيحِ توبةِ[2]

وثانيها: الخوفُ، والرجاء، والصبرُ، والشكرُ، والزهد، والتوكُّلُ، والحبُّ لله، والرِّضا بالقضاء، فهذه مقاماتُ اليقينِ التسعُ المشارُ إليها في البيت، وهيَ التي يُثمِرُها اليقين وتترشَّحُ عنه، وبالمداومةِ والمواظَبةِ على التخلُّقِ بهذه الأخلاق، والتحقُّقِ بهذه المقاماتِ والعمل بموجِباتِها العمليّـة: ينعطفُ على القلبِ أثرٌ ونورٌ

---

(١) بل هو من كلام سيِّدنا عبد الله بن مسعود رضيَ الله عنه، أخرجه البخاري عنه معلَّقاً، في كتاب الإيمان من «صحيحه»، باب قول النبي ﷺ: بُني الإسلام على خمس.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٦.

منها يَقْوى بها الإيمانُ واليقين أيضاً، ثُم يُنتجُ اليقينُ أموراً عَلِيّـة وعزَماتٍ سَنيّـة، تحملُ صاحبَها على العملِ الكثير، والجِدِّ والتشمير، وإخلاص النيّـةِ لله في ذلك، بمقتضى ما قامَ في القلبِ مِنَ اليقين، ثُم يعودُ أثرُ تلكَ الأعمال على القلبِ الذي منهُ انبعثَتْ، واليقينُ الذي منهُ استُثمِرتْ.

فبانَ أنّ اليقينَ للخيراتِ مَنبَع، وسائرُ القُرُباتِ لهُ تتبَع، وأنّ بقوّتِـهِ تكثُـرُ الأعمالُ الصّالحة والأخلاقُ الجميلة، وبضَعفِهِ تضعُفُ وتقِلّ، ومتى قَلَّ اليقينُ وضعُف كثُرتْ لا محالةَ الأعمالُ القبيحةُ والأخلاقُ الرّديّة، إذْ لا يُتصوَّرُ خلوُّ القلبِ عن أحدِ الأمرَيْن، و﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِى جَوْفِهِۦ ﴾ [الأحزاب: ٤].

قال لقمانُ الحكيمُ: لا يُستطاعُ العملُ إلّا باليقين، ولا يَعملُ العبدُ إلّا بقَدْرِ يقينِـه، ولا يقصِّرُ عاملٌ حتى ينقُصَ يقينُه.

ومِن مقوِّياتِ اليقين ومُرسِيَاتِ [٢٤ب] أصولِه: النظرُ في الآياتِ البيّنات، والأحاديثُ النبويات، الدالّةِ على جلالِ الله وجمالِه وكمالِه، وما أُريدَ بِهِ الأنبياءُ مِن الـمُعجزات، وما حَلَّ بمعانِـدِيهم منَ الـمَثُلات[١]، وما ورَدَ في اليوم الآخر مِن أنواع الـمَثوبةِ والعقوبة، وكذا بالنظرِ في مَلَكوتِ السمواتِ والأرضِ وعجائبِ المملكة، وبدائع الصَّنعةِ الـمُحكَمة، ومتى أعرَقَتْ أصولُ اليقين في القلبِ وبسَقَتْ أغصانُـهُ[٢]، أثمرَ لصاحبِـهِ الكشفَ والعِيَان، وهُوَ المفاجأةُ للموقِنِ بشيءٍ مِن صريح الحقّ ولوامع الغيب والمبادأةِ بحقائقِ المشاهدةِ الـمُثمرةِ مِن عزائم المجاهدةِ

---

(١) الـمَثُلات: جمع مَثُلة، وهي العقوبة.

(٢) بَسَقَت أغصانه: طالت. ومنه قوله تعالى: ﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ ﴾ [ق: ١٠].

المشارِ إليها بالهدايةِ في قولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ [العنكبوت: ٦٩] أي: بالمجاهدةِ والإحسان فيها، بأن تؤدّى على وجهِها وكونِها لله عزَّ وجَلَّ مِن غيرِ قصدٍ آخَر. ولسيّدِنا: [طويل]

وجاهِدْ تشاهِدْ واغنَمِ الوعدَ بالهُدى هُدىً نَـصُّهُ في العنكبوتِ بـآيـةِ[1]

ثُم قال رضيَ اللهُ عنهُ:

وحَلِّ عُـقْدةِ كرْبي

أي: واستعنتُـكَ واستنصَرْتُ بكَ على حَلِّ عُقدةِ الكربِ النازلِ بي، والطارئِ على قلبي الثاوي فيه، والغاشي على عيْنِ بصيرتِه والـمُغَـبِّـرِ في وجهِه والصّادِّ لهُ عنِ السلوكِ والسيرِ إلى الله عزَّ وجَلّ بالفكرِ والأذكارِ الموصِلَـيْنِ إلى دوام الإقبال والتوجُّهِ إليهِ سبحانَه والغوص في بحارِ الأفكار والظّفَر بمخبَّـآتِ الجواهرِ والحقائقِ المطهَّرةِ والـمُنبعِثةِ عن نتيجةِ الفكر الصّافي والذكْرِ الدائم.

وأعظمُ نتائج الفكرِ والذكْر: المعرفةُ بالله والمحبّـةُ لهُ سبحانه، وذلك منتهى الغاياتِ وأشرفُ المطالب، وأجَلُّ الذّخائر والمآرب، التي [٢٥أ] تتلاشى وتتضاءلُ دونَها سائرُ القرُبات، منَ الأخلاقِ والأعمالِ والعزوم والنيّات، إذِ القرُباتُ مِن عندِ آخرِها لا تُرادُ إلّا لها، والتوسُّلِ إليها بها، وهِيَ تُرادُ لذاتِها، فهيَ بالحقيقةِ أعزُّ مطلوب، وأجَلُّ موهوب، بل لم توجَدْ إلّا بها ولها، وحسْبُكَ أنّ العارفَ تصيرُ الأشياءُ طوعَ يدِهِ ومشيئتِه، قال سيِّـدُنا في «إتحافِ السائل»: ولو توجَّهَ العارفُ

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٧.

إلى جبلٍ ليزولَ، أو بحرٍ ليَغُورَ لكان ذلك بقُدرةِ الله، ولكنّهم ما يشاءونَ إلّا ما شاء الله. انتهى.

وما ذلكَ إلّا لِـمَا خُصَّ بِهِ منَ السرِّ الموروثِ عنِ الصدِّيقِ الأكبر، الذي وقَرَ في صدرِه، وفَضَلَ بِهِ سائرَ المؤمنين، والعلمِ الذي ماتَ تسعةُ أعشارِه بموتِ الفاروق عمر، رضيَ اللهُ عنهما.

ولا يثمرُ دوامُ التوسُّلِ إلى حصولِ المعرفةِ الإلهيّـة ويَستتِبُّ على وجههِ إلّا بإزالةِ الهمِّ والكربِ النازلَيْنِ بالقلب، وإزاحةِ الغمِّ المسؤولِ دفعُه بقولِهِ رضيَ اللهُ عنه:

فانظُـرْ إلى الغَـمِّ يَـنْجالْ

ينجلي وينجابُ ويزولُ عنِ القلب، وذلك بالنظَرِ إليه منَ الله عزَّ وجَلّ بعينِ الرحمةِ الثائرةِ مِن فيْضِ الجودِ الإلهيِّ المشارِ إليه المأمورِ بالتعرُّضِ له بقولِهِ ﷺ: «إنّ لِربِّكُم في أيامِ دهرِكُمْ نفَحات، ألا فتعرَّضوا لها»[١] أي: بتنقيةِ المحلِّ القابلِ لها وهُوَ القلب، ولزومِ الوقوفِ والعكوفِ ببابِه، ولزومِ المثولِ بين يديهِ في قوالبِ العباداتِ: الظاهرةِ والباطنةِ الـمُقرِّبةِ إليه زُلفى، والتبرِّي عنِ الحولِ والقوةِ بالافتقارِ المحْض، في الرفع والخفض، وتفريغِ القلب [٢٥ب] عمّا سوى الله، والانخلاعِ عن ذلك، وأن يجعَلَ اللهَ تعالى مكانَ الجميع.

ولـمّا ذكَرَ الناظمُ رضيَ اللهُ عنهُ الاستعانةَ والاستنصارَ بالله على مداواةِ القلب وإصلاحِه الذي بِهِ سعادتُهُ وفوزُهُ ونجاتُهُ وصلاحتُهُ للقُربِ مِنَ الله والنزولِ في

---

(١) أخرجه الطبراني في «المعجم الكبير» ١٤: ١٢٥ (١٥٨٦١)، من حديث محمد بن مَسلَمةَ الأنصاري رضيَ الله عنه.

جوارِه، وعلى حلِّ عُقدةِ الكربِ والغمِّ القاطعَيْنِ طريقَ السلوكِ إلى الله وسيْرِ القلب إليه، وأبانَ أنْ لا مُعِينَ ولا ناصرَ على الحقيقةِ والتحقيقِ إلّا اللهُ عزَّ وجَلَّ، وأنّ كلَّ شيءٍ مفتقِرٌ إليه، ومحتاجٌ إلى توفيقِهِ وتأييدِهِ وتسديدِهِ ومَعونتِهِ وعنايتِهِ، وأنَّ كلَّ ما خلَتْ عنهُ العنايةُ هُوَ عَناءٌ، وأنه: [طويل]

إذا كان عونُ الله للمرءِ حاصلاً ... تـأتّـى لـهُ مِـن كلِّ شيءٍ مرادُهُ
وإنْ لم يكنْ عونٌ منَ الله للفتى ... فـأولُ ما يجنـي عليـهِ اجتهادُهُ

وقال رضيَ اللهُ عنهُ:

يا ربِّ يا خيرَ كافي

أي: لا كافيَ على الحقيقةِ سواه، وأنّى يُتصوَّرُ مِن غيرِه كفايةٌ والغيرُ فقيرٌ إلى الكفايةِ منهُ سبحانَه، ومحتاجٌ إليهِ في كلِّ أحوالِه، لا يخلو عن ذلك ولا طرْفةَ عين، وكيـف يكـونُ استغنـاءُ الفقيرِ الـمُطلَـقِ عنِ الغنيِّ المطلـق؟ و﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ أَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ إِلَى ٱللَّهِ ۖ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾ [فاطر: ١٥].

والغنيُّ والـمُغني المطلقُ: مِن أسمائه تعالى، وهُو: الذي لا يَحتاجُ إلى شيءٍ قطّ، ويَحتاجُ إليهِ كلُّ شيء، ومحالٌ أنْ لا يَحتاجَ إليهِ شيءٌ، وليس ذلكَ على الحقيقةِ إلّا اللهُ عزَّ وجَلّ، لأنّ: [بسيط]

ما في الوجودِ ولا في الكونِ مِن أحدِ ... إلّا فقيـرٌ لفضْلِ الـواحِـدِ الأحَـدِ
معـوِّلـونَ على إحسـانِـهِ فُـقَـرا ... لِفَيضِ إفضالِهِ يا نِعْـمَ مِنْ صَمَدِ[١]

(١) البيتانِ للإمام الحدّاد، (القصيدة الثالثةَ عشرةَ من رَويِّ الدال)، ص١٨٧.

[٢٦أ] ولا يُفهَم مِن قولِه: «خيرَ كافي» أنّ ثَمَّ كافياً غيرُه، وإن كان مفضولاً، وإنّما ذلك تَجوُّزٌ، كما يقال: ملِكُ الملوكِ ومعلومٌ أنْ لا مُلْكَ لغيرِهِ معَه.

وإنّما سأل من الله العافيةَ الباطنةَ، وهيَ: مداواةُ القلبِ وإزاحةُ الغمِّ والكربِ عنهُ، وخصَّص السؤالَ وفصَّلَهُ، أجمَلَهُ وعمَّمَهُ بقولِهِ رضيَ اللهُ عنه:

أحْلِلْ علَيْنا العَوَافي

سألَ منَ الله تعالى العوافيَ الشافيـة، الكواملَ الصّافيـة، الظاهرةَ والخافيـة، للأمراضِ والأسقام، الكائنةِ والنازلةِ بالأرواح والأجسام. ولم يُخصِّصِ السؤالَ لنفْسِه فقط، بل سأل العافيةَ لهُ ولسائرِ المسلمين، لكمالِ شفقَتِـهِ بهم، ورحمتِه لهم، وأن يُحلِلَها عليهم فلا يَنزِعَها أبداً. وهِيَ بالحقيقة: ما حُمِدَ غِبُّها[١] وعاقبتُها في الدار الآخرة.

وأعظمُ ذلك وأجلُّـه: عافيـةُ القلبِ مِن مرضِ الشرْكِ والكفْـرِ والشكِّ والبدعة: بالإيمانِ بالله تعالى وتنزيهِهِ وإخلاصِ التوحيدِ له، و[مِن] خبائثِ الأخلاقِ والأوصافِ: بمحاسنِها، و[مِن] دنيِّها: بسنيِّها، والمعصيةِ والإصرارِ عليها: بالتوبةِ عنها، والخروج عن مُقارفةِ المخالفاتِ إلى معانقةِ الموافقات، والإدامةِ والبقاءِ على ذلكَ حتى المات، وفي الحديث: «ما سُئِلَ اللهُ شيئاً أحبَّ إليه مِن سؤالِ العافية»[٢]، ومِن دعائه ﷺ: «وعافيتُكَ أحبُّ إليّ»[٣].

---

(١) غِبُّها: عاقبتُها. سبقَ شرحها.

(٢) أخرجه الترمذي في «جامعه» (٣٤٣٧، ٣٤٧١) من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما.

(٣) وهو جزءٌ من دعائِه ﷺ بعد أنْ آذاه أهلُ الطائف، الواردِ في سيرة ابن هشام، لكنّ لفظَه: «ولكنّ عافيتَك هيَ أوسعُ لي...».

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

فليسَ شَيْ ثَـمَّ خافي

ليس عندَ المسؤولِ له العافية، عليه مِن شؤونِهِ وأمورِهِ خافية، بل الـخَـفِيُّ والجَلِيّ منها [٢٦ب] عندَه سبحانَه، واطّلاعُهُ واستكشافُها لهُ على حدٍّ سواء، إذِ القُربُ والبُعدُ في حقِّه تعالى واحدٌ، والفرقُ والتفاوتُ والتبايُنُ والتغايُـرُ إنّما هُوَ في حقِّ المخلوقِـين، تعالى اللهُ عن قولِ الـمُلحِدِين، بل علمُهُ بكُلّياتِ الأشياءِ وجزئيّاتِها على حِدَة، وكيف لا وهُوَ الخالقُ والبارئُ والمصوِّرُ والمدبِّـرُ لها؟ ولا بدَّ لذلك ضرورةً مِن حكمةٍ بالغة، وقُدرةٍ حاكمة، وإرادةٍ مخصِّصة، وعلمٍ سابقٍ بها، بل يعلَمُ سبحانَه مُفصَّلَ الأشياءِ ومجمَلَها، ليس شيءٌ منها خافياً:

علَيكَ تفصِيلْ واجْمالْ

مِن ظاهرٍ وباطن، وجليلٍ ودقيق، وجَلِيٍّ وخَفيّ، وكبيرٍ وصغير: ﴿يَعۡلَمُ خَآئِنَةَ ٱلۡأَعۡيُنِ وَمَا تُخۡفِي ٱلصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٩]، ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ﴾ [الشورى: ٥٣]، فهو الرقيبُ الحاضر، الشهيدُ الناظر، الحكيمُ العليم، و﴿يَعۡلَمُ مَا تُبۡدُونَ وَمَا تَكۡتُمُونَ﴾ [المائدة: ٩٩]، ويعلَمُ جَسَّ النملِ عندَ دَبِـيبِهِ، ويعلمُ ما يَخفى وما في الضمائر، و﴿أَنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ﴾ [البقرة: ٢٣٥]، ﴿تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ [المائدة: ١١٦]. يعلمُ دَبيبَ النملةِ السوداء، على الصّخرةِ الصّماء، في الليلةِ الظّلماء، وحركةَ الذرِّ في جوِّ الهواء، ﴿سُبۡحَٰنَكَ لَا عِلۡمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمۡتَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣٢].

ثم إنّ الناظمَ نفَعَ اللهُ بِهِ لـمّا سألَ منَ الله العافيةَ الجامعةَ لجميع الكمالات: الحِسيّـةِ والمعنويّة، العاجلةِ والآجِلة، أَخَذَ في الابتهالِ والتضرُّع، والاعترافِ بالعبودية لله تعالى والفقرِ إليهِ سبحانَه، بالوقوفِ على الباب [٢٧أ] المقصودِ باللَّجَإِ إليه، والمعدودِ للِّياذِ به، وذكْرِ خشيةِ عذابِهِ الأليم، ورجاءِ ثوابِهِ العظيم، واستمدادِ غيثِ رحمتِهِ الهطّالِ، كما قال رضيَ اللهُ عنه في بعضِ قصائدِهِ: [طويل]

مليـكٌ جميعُ العالَـمِينَ عبيدُهُ وفي دهـرِه مِن كـابرٍ وأصاغرِ
وقـوفٌ على أبوابِهِ يَرْتـَجُونَـهُ ويخشَوْنَـهُ عن ذِلّةٍ وتَصاغُرِ(١)

فقال رضيَ اللهُ عنه:

يا ربِّ عبدُكْ ببابِكْ

والعبدُ حقيقةً هُوَ: الماثلُ بينَ يدَيْ ربِّه، والحريصُ على نيْل قُرْبه. والعبوديّةُ أشرفُ مقامٍ اتّصَفَ بِهِ العبد، وهيَ: الـحُـرّيةُ الكاملةُ مِن جميع وجوهِها. والفقيرُ المحْضُ في سائرِ الحركاتِ والسَّكَنات، الظاهرةِ والباطنة: العاكفُ على بابِ الله الـمُغني لفقرِهِ وعدَمِه، والكافي لمطلوبِه ومُهِمِّه، موضعِ شكواهُ وسؤالِه، ومَوطِنِ رَجْواهُ ونَوالِه، خاليَ القلب عن الوقوفِ بالاعتمادِ والاستنادِ إلى الأسبابِ الموصِلةِ له إلى مُراداتِهِ المتوَهَّمِ حصولُها منها، ومُحالٌ أن يظفَرَ بنُجحِ مطلبِهِ أو نيْلِ مأرَبِـهِ مَن وقَفَ بغيرِ هذا الباب، أو ركَنَ إلى غيرِ هذا الجناب، بل يَؤُوبُ بشرِّ مآب، وأليمِ خِزْيٍ وعذاب، لحَيْدِهِ عن منهج الاستقامة، إلى سبيل الزيْغ والـمَلامة.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص ٢٧٠.

وللعبدِ في الوقـوفِ والعكـوفِ على بابِ مولاه، وإضافـةِ فقـرِه وعجْزِه واضطرارِه إلى قُدرتِهِ وغِناه: العزُّ الأفخَر، والإكسيرُ الأحمر، والمكانةُ العُظمى، والـمَزِيّـةُ الكبرى، كما قـال الناظمُ، نفَعَ اللهُ به، حاكيـاً عن نفْسِهِ ولغيرِه، بالمعنى الأعمِّ [٢٧ب]: [مجزوء الرمل]

أنــا عبــدٌ صــارَ فخْـــري ضِمنَ فقري واضطراري[١]

ووقوفُ عبدِكَ ببابِك، لكونِه:

يخشى أليمَ عذابِكْ

يخافُ ويحذَرُ عذابَكَ المؤلِمَ: الروحانيَّ والجِسمانيّ، [الجِسْمانيَّ]: بدارِ الجحيم، والروحانيَّ: بالحجابِ عنِ الله، والبُعدِ والطّردِ عن بابِهِ، فهذا هُوَ العذابُ الأكبر، وما سواهُ أصغرُ وأحقَر. ولكونِ عذابِ الحجابِ أكبرَ وأعظمَ، قدَّمَه سبحانَه في الذكْرِ على عذابِ الجحيمِ بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّهُمۡ عَن رَّبِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ لَّمَحۡجُوبُونَ * ثُمَّ إِنَّهُمۡ لَصَالُواْ ٱلۡجَحِيمِ﴾ [المطففين: ١٥-١٦]، إذِ العذابُ الثاني فَرعُ الأول، ولولا هذا لما كان هذا. وإذا كان يخشى أليمَ عذابِك فهُوَ أيضاً:

ويَـرْتَـجي لثوابِكْ

والثوابُ المرجُوُّ هُوَ: النعيمُ الـمُقيمُ منَ الـحُورِ والقصُورِ والـمَلاذِّ الجِسميّـة، والنزولُ في جوارِ الله، والنظرُ إلى وجهِ الله تعالى ولقاهُ والقربُ منهُ، وهذا هُوَ النعيمُ كلُّه، بل لا ينبغي لسواهُ أن يُسمّى نَعِيماً.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السادسة عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٥٦.

ورجاءُ الثوابِ إنّما يكونُ معَ وجودِ الأعمالِ الصالحةِ الخالصةِ لله عزَّ وجَلّ، ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠]، معَ شهودِ الـمِنّةِ له، والتقصيرِ مِن نفْسِه، **إذِ الشأنُ شهودُ التقصيرِ في التشمير، وليسَ الشأنُ شهودَ التقصير في التقصير** كما قال بعضُ العارفينَ نفَعَ اللهُ بهم، إذِ الخوفُ والرجاءُ متلازمان، قَلَّ أن ينفَكَّ أحدُهما عنِ الآخر؛ لأنّ باعثَهما العلمُ بالصِّفاتِ: الـمَخُوفةِ والـمرْجوّة، وقد قيل: لا يكونُ الخوفُ كلُّه إلّا للراجين، ولا الرجاءُ كلُّه إلّا للخائفين. **والرجاءُ**: أثرٌ وفرَحٌ ينشأُ في القلبِ عندَ استشعارِ [٢٨أ] الـمَرْجُوِّ يَـهُزُّه إلى نَـيْلِه. وهُوَ في مقام الإسلام: خوفٌ، وبإزاءِ مقامِ الإيمانِ: بسطٌ، وفي موازنةِ مقام الإحسان: أُنْس، كما أنّ الخوفَ ـ الذي هُوَ: الاقشعرارُ عنهُ ـ: استشعارُ الـمخَوفِ بإزاءِ مقامِ الإسلام، وفي موازنةِ مقامِ الإيمانِ: قبْض، وفي الإحسان يُسمّى هيْبةً، والهيْبةُ يقارنُها الإجلالُ والتعظيمُ وانبعاثُ الرجاءِ والخوفِ وهيَجانُهما بحسَبِ ما يجري على القلبِ منَ العلم بأوصافِ الجمال والجلال الإلهيّـةِ الحاملةِ على الرجاء، كالرحمةِ واللُّطفِ والجودِ والعطفِ والبرِّ والإفضال، والجَلاليّةِ الحاملةِ على الخوف، كالقهرِ والبطشِ والانتقام وغيرِ ذلك. والـخَشْيةُ من ثمراتِ العلم: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُاْ﴾ [فاطر: ٢٨]، بل هيَ أجَلُّ ثمراتِه، وفي الحديث: «رأسُ الحكمةِ مخافةُ الله تعالى»(١)، وفيهِ أيضاً: «وارزُقْني خَشيتَكَ في الغيبِ والشهادة»(٢).

---

(١) هو من كلام ابن مسعود رضيَ الله عنه، أخرجه عنه البيهقي في «شعَب الإيمان» ٢: ٣٠٦ (٧٦٢)، وضعّف روايةَ الحديث مرفوعاً.

(٢) أخرجه النسائي ٥: ٩٠ (١٢٨٨)، وأحمد ٣٧: ٢٨٢ (١٧٦٠٥)، وغيرهما، من حديث عمّار بن ياسر رضيَ الله عنهما.

وأفضلُ الخوفِ ما كفَّ عنِ المحارم والنواهي، وأجملُ الرجاء: ما حمَلَ على فعل الأوامرِ والطاعات، وليس لهما جدوى إذا ضيَّعَ التقوى المعبَّـرَ عنها بامتثالِ الأوامرِ واجتنابِ النواهي ولم يُـرَدا إلّا للتوسُّلِ بهما إليها، أحدُهما سائقٌ والآخرُ قائد: [طويل]

ومَن ضيَّعَ التقوى وأهمَـلَ أمرَها تغَشَّتْـهُ في العُقبى فنونُ النّدامـةِ(١)

والتقـوى هيَ: الخَصْلـةُ الجامعـةُ لجميـع الكمالاتِ الظاهرةِ والباطنة، وهيَ بحسَبِ الأحوالِ والمقاماتِ والمتّصفِينَ بها. ومصدرُها الخوف، ومصدرُ الخوفِ العلم، كما أنّ الرجـاءَ ثمرتُـه، وهُـوَ يُثمـرُ **المحبّـةَ لله تعالى** [٢٨ب] **التـي هيَ منتهى المقاماتِ وأقصى الغايات**، ولذلك قيل: إنّ الرجـاءَ أفضلُ، وكـلٌّ منهما فاضلٌ. ولسيّـدِنا النـاظم نفَـعَ اللهُ بـه في الأمرِ بالخوفِ لله والرجاءِ فيهِ سبحانَه: [كامل]

والخوفُ للّـهِ العظيمِ وبالرَّجا فكلاهما مثلُ الدواءِ الأنفعِ(٢)

وقال أيضاً: [طويل]

وخوفٌ ونِعْمَ الخوفُ للعبدِ سائقٌ ونعـمَ الـرَّجا من قائدٍ للسعادةِ(٣)

وكيفَ لا يُرجى ثوابُك:

---

(١) تقدّم، وهو في ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٧.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٤.

(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٦.

وغيْثُ رَحمتِكْ هَطّالْ

لم يَزلْ كذلكَ ولا يزال، ولا يحُولُ عن ذلكَ بحالٍ منَ الأحوال، بل إنّ سُحُبَ الرحمةِ والجودِ الإلهيِّ طالعة، وبُروقَهُ لامعة، وغُيوثَهُ هطّالةٌ هامعة، وذلك حاصلٌ مِن بابِ الفضل والكرم، مِن غيرِ سابقةٍ لاستدرارِهِ ولا قَدَم، جرَتْ بذلك السُّنّـةُ الإلهيةُ التي لا تَجِدُ لها تبديلاً ولا تحويلاً.

وأقوى سبَبٍ في استدرارِ الرحمةِ الإلهيّـة واستنزالِ النفَحاتِ والعطَفاتِ وفيضِ هطّالِها من بحارِ الفضلِ والجود الخَفِيِّ هُوَ: التعرُّضُ لها بالاستعدادِ والجِدّ والاجتهادِ في الأعمالِ الصّالحـةِ الخالصـةِ لله عزَّ وجَلّ، ولـزومُ البـاب بالأدبِ والـحُرْمة، وشهودُ الـمِنّة لله سبحانَه في كلِّ ما وفَّق وسدَّدَ لهُ وهدى وأرشَدَ إليه.

ومِن أعظم الأسبابِ الجالبةِ لذلك: الإلحاحُ في الدعاءِ والسؤالِ والتضرُّع والابتهال، وإدمانُ التوجُّهِ بالافتقار آناءَ الليل وأطرافَ النهار، والإقبالُ على الكبيرِ المتَعالْ في طلبِ ذلك، والتشَوُّفُ إلى نيلِهِ والتطلُّعُ إلى تحصيلِهِ. قال رضيَ اللهُ عنهُ نظماً [٢٩أ]: [طويل]

فيـا نفَحـاتِ الله يـا عطَفـاتِـهِ ... ويا جذَباتِ الحقِّ جودي بِزَوْرةِ
ويـا نظَـراتِ الله يـا لَـحَظـاتِـهِ ... ويـا نَسَمـاتِ اللُّطفِ أُمّي بهبّـةِ
ويـا غـارةَ الرحمنِ جِدّي بسُرعةٍ ... إلينـا وحُـلّي عُقْـدَ كـلِّ مُـلِمّـةِ
ويـا رحمةَ الربِّ الرحيمِ توجَّهي ... وأحيي بروحِ الفضلِ كلَّ رَميمةِ
ويـا كـلَّ أبـوابِ القَبولِ تفتَّحي ... فإنّ مطايـا القصـدِ نحوَكِ أمَّتِ

ويا سُحُبَ الجودِ الإلهيِّ أمطِري　　　فإنّ أكُفَّ المحْلِ تَلْقاكِ مُدَّتِ(١)

ثُم قال رضيَ اللهُ عنهُ وأرضاه معتذراً ومُنكسِراً ومفتقِراً إلى الله، وسائلاً منهُ سبحانَه أن يهزِمَ عُسرَه بيُسرِه، بمحضِ جودِهِ وبِرِّه، وقال:

وقد أتاكَ بِعُـذْرِهْ

المعنى: أنّ العبدَ الفقيرَ شأنُه الاعتذارُ إلى الله مِن إساءتِهِ وجَراءتِهِ وقدومِهِ على التهتُّكِ بارتكابِ محَارِمِهِ ومَساخطِهِ وعدمِ القيامِ بواجبِ حقِّهِ عليه، وكذا أتاك:

وبانْـكِسَارِهْ وفَـقْرِهْ

إلى ربِّه، والأسفِ والنَّدم والحُزنِ على ما فرَّطَ في جنبِهِ والانكسارِ لهُ ومِن أجلِهِ، أي: الاعتذارِ والافتقار والانكسار، وهذه الثلاثةُ أعظمُ ما أتى إلى الله بهِ الآتون، وتقرّبَ بهِ إليه المتقرِّبون، إذْ يقولُ سبحانَه: «أنا عندَ الـمُنكسِرةِ قلوبُهم مِن أجلي»، فأعظِمْ بها مِن قُربى جلَبَتْ لصاحبِها العِنديّةَ الإلهيةَ التي بها سعادتُهُ الأبديّة وفخْرُهُ الأكبر وعزُّهُ الدائم، وحاشا لجودِهِ وكرَمِهِ أن يأمُرَ عبدَه بالعفوِ والصفح وقبولِ مَعذِرةِ مَن جاء [٢٩ب] مُعتذِراً، وإقالةِ عثْرةِ النّادم، ويأتيَهُ العبدُ الضعيفُ النادم ولا يُقيلُ عثرتَه ولا يقبَلُ معذِرتَه، بلى إنه أحقُّ بهذا الوصفِ منَ المخلوقينَ وأجدَرُ بالفضلِ منَ المأمورين كما قيل شعراً:　　　[كامل]

حاشـا لجـودِكَ أن تُقنِّطَ عاصياً　　　فالفضلُ أجزلُ والمواهبُ أوسَعُ

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٩.

فاهزِمْ بيُسْرِكَ عُسرِهْ

إذْ قد أتاكَ بعُذرِه، راجياً أن تهزمَ وترفعَ وترُدَّ عُسرَه وشدّتَهُ وتعبَهُ ونصَبَهُ، بيُسرِكَ الموعودِ بالعُسر: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥-٦] ثُم سَدَّ خُلّتِهِ وحاجتِه، وجبْرَ انكسارِهِ وفقْرِه، وقبولَ توبتهِ وعُذرِه، والنُّصْرةَ والتأييد والتوفيقَ والتسديد، والهدايةَ لِـمَا هُوَ الحقُّ عندَه والإرشادَ لـمَا فيهِ صَلاحُهُ: العاجلُ والآجل، واللُّطفَ بِهِ والحفْظَ له، والإعانةَ على ذلك بدفع الصّوارفِ والقواطع عن ذلك، ورَدِّ كيدِ الأعداء، والدفعِ في نحورِهم، وإزاحةِ الهموم والغموم والأحزانِ المكدِّرةِ صفاءَ العيش والـمُشوِّشةِ له، وإبدالِها بالـمُسرّات والأفراح، وإزالةِ الشدائدِ والمتاعب، النازلةِ بالقلب والقالَب، منَ الأمراضِ والأسقام: الخاصّة والعامة، وتبديلِها بالعوافي الضّوافي الكواملِ التامّة، ولسيّدِنا الناظم في دفع العُسر باليُسر والشدّةِ بالرخاءِ نظماً: [بسيط]

كم شدّةٍ ضاقَ منها الصّدُّ والنادي — تخَوَّفَ القلبُ منهـا شـرَّها العادي
أمسَتْ فما أصبحتْ حتى بـدا بادي — مِـن لُطفِ ربِّـك لـم يُبـقِ ولم يَـذَرِ(١)

[٣٠أ] غيرُه: [بسيط]

وبشِّـرِ القـلبَ بالإفـراجِ والـفـرحِ — وبالعـوافي مـنَ الأكـدارِ والتّـرَحِ
وبـالهنـا والـمُـنى والفـوزِ بالـمِنحِ — مِن فضلِ ربِّكَ واشكُرْ مُدّةَ العُمُرِ(٢)

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثالثة من رَوِيِّ الراء)، ص٢١٧.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثالثة من رَوِيِّ الراء)، ص٢١٨.

وقال أيضاً نظماً: [كامل]

إنّ النـوائـبَ كالسحـائبِ تنجلي   في سرعةٍ ووجودُها يُضحي خبَرْ
وإذا تطُـولُ إقـامـةٌ مِـن حـادثٍ   كانـتْ مبشِّـرةً بطُـولِ الـمنتظَـرْ(١)

ثُم قال رضيَ اللهُ عنهُ:

بِمحْضِ جودِكْ وَالافضالْ

أي: أنّ هذه الألطافَ الجاريةَ على العبدِ مِن ربِّه، مِن دفع العسرِ باليُسر على أنواعِهِ المتكاثرة بمحضِ الجودِ والإفضال منهُ سبحانَه، إذِ الكلُّ منهُ بدأَ وإليهِ يعود: ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴾ [النجم: ٤٢] ﴿ فَلِلَّهِ ٱلْـَٔاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴾ [النجم: ٢٥] وإنّ الفضلَ بيدِهِ يؤتيهِ مَن يشاء، ولا يكونُ فضلُه على عبدِه بسابقةِ عملِهِ منه، بل بسابقةِ رحمتِهِ: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ مَا زَكَىٰ مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [النور: ٢١] ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾ [الصافات: ٩٦].

بلِ التوفيقُ بالعمل وإرادتِهِ الجازمة الحاملةِ عليه، والانبعاثِ والقيام بحسَبِها والإخلاص لهُ والصِّدقِ في ذلك، والدوامِ عليه والختْمِ بالحُسنى، كلُّ ذلك مِن فضلِهِ سبحانَه، لا يُتصوّرُ لغيرِه في ذلك شِركةٌ ومَثْنَوِيّة؛ لأنّ كلَّ ما سواهُ حادثٌ عن فيضِ فضلِهِ وجودِه، باختراعِه وإيجادِه منَ العدَم، وإسباغِهِ عليهِ بعدَ الإيجاد جزيلَ النِّعَم.

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعة والعشرون من رَوِيِّ الراء)، ص٢٩٩.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه وأرضاه:

وامنُنْ عليهِ بتَـوبَـهْ

مُنَّ على عبدِكَ [٣٠ب] الفقيرِ إليك بتوبة، مُنَّ عليهِ مِن مَحضِ جُودِك وفضلِكَ المدّخَرِ المعدودِ لدفع حاجاتِ المحتاجين، وإعطاء رجاءِ الراجين، وذلك بأنْ يأخُذَ بناصيتِهِ إليه، ويجمعَ مَجامعَ قلبِه عليه، ويُثنيَهُ عن طُرقِ البُعدِ عنه إلى سبيل القُرب منه، وذلك عنِ الزلاّتِ والهفَواتِ والمعاصي والخَطيّاتِ وسائرِ المخالفات، صغائرِها وكبائرِها.

والتوبةُ حقيقةً: الرجوعُ إلى الله عمّا ذكر والإنابةُ إليهِ سبحانَه، وخَلْعُ لباس الجفاء، وملابَسةُ حال الصّفاء. وللتوبةِ شروطٌ وأركان لا تصحُّ بدونِها، وهو: أنْ يترُكَ الذنوبَ وينزِعَ عنها جميعِها ويندمَ على فعلِهِ إياها، وكونُ ذلكَ لله تعالى، ويعزِمَ على أن لا يعودَ إلى الذنوبِ ما بقِيَ أبداً، ونفْرةُ القلبِ عنها، واستمرارُها بعدَ استحلائها، واستقباحُها بعدَ استحسانِها، ولا يخفى كونُ التوبةِ النصوح مِن مقاماتِ اليقينِ التسع، بل هيَ أولُ قدَمٍ وخطوةٍ للسالكين والمريدين، وأجلُّ وسيلةٍ ومَرْقى للعارفينَ والصدِّيقين.

قال الناظمُ في ذلك: [كامل]

والتوبةُ الـخَلْصاءُ أوّلُ خُطوةٍ للسالكينَ إلى الحِماءِ الأمنَعِ[١]

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٤.

والقصدُ: أنّ هذه التوبةَ الـخَلْصاءَ النصوح، الممنونَ بها على العبدِ مِن قِبَل الحقِّ: [كامل]

فضـلاً وإحسـانـاً ومَـنّـاً منـكَ يـــا ذا الجودِ والفضلِ العظيمِ الأوسَعِ(١)

تغسِلُـهُ مِن كلِّ حَوْبَـهْ

تُطهّرُه وتُزكّيه وتُنقيهِ مِن كلِّ ذنبٍ وعصيانٍ ومخالفة، [٣١أ] بل وعن كلِّ مقام يُتصوَّرُ الترَقّي منه إلى ما هُوَ أعلى منهُ كائناً ما كان، ولهذا قال تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [النور: ٣١] عمَّمَ الأمرَ إياهم.

والعبوديّةُ مُقتضيةٌ لعدمِ الوقوفِ عنِ التوبة ومستلزِمةٌ لأقصى غاياتِ الجهدِ فيها.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

واعصِمْهُ مِن شرِّ أَوْبَـهْ

والعصمةُ هنا: بمعنى الحفظ، والحفيظُ مِن أسمائه سبحانَه، وهُوَ: مُديمُ وجودِ الموجودات وصائنُها مِن تعادي بعضِها على بعض.

احفَظْهُ مِن شرِّ أوْبة، أي: عودةٍ ورجعةٍ إلى الذنب بعدَ التوبةِ منه والإقلاع عنه، بأنْ لا يُحدِّثَ نفْسَه بالعودِ إليه، وأنْ لا يخطُرَ بقلبِهِ الورودُ عليهِ بعدَ الصدورِ عنه. وهذه التوبةُ حقيقٌ أن تُسمّى النَّصُوحَ أي: الـخَلُوص عن كلِّ خَلْطٍ وشَوْب يمنَعُ

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٥.

مِن صلاحيتِها للقَبول والتقربِ بها إلى الله زُلفى، وأن يُحسِنَ ما يترُكُه لله عزَّ وجَلَّ منها، كإحسانِهِ ما يفعَلُه.

وهذه العصمةُ والحفظُ:

لكلِّ ما عنهُ قد حالْ

ومال. وأقلَعَ عنهُ وندِمَ على فعلِه، وعزَمَ على عدمِ العودِ إليه والتعاطي له.

والتوبةُ مقتضيةٌ للحبِّ منَ الله لعبدِه، لقولِهِ تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلتَّوَّٰبِينَ وَيُحِبُّ ٱلۡمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢] أي: عنِ الذنوب بالتوبة عنها. والتوّابُ مِن أسمائه تعالى، وهُوَ: الذي يتكررُ منهُ وقوعُ التوبةِ على العبد وتهيئةُ أسبابِها. ومنَ المخلوقين: التوّابُ هُوَ الرجّاعُ والأوّابُ إلى الله تعالى، كلّما أذنبَ تاب ورجَعَ وأناب، المتدارِكُ لـمَا عنهُ [٣١ب] قد فات، والـمُتلافي إلى ما هُوَ فيه آت.

وفي الحديث: «خِيارُكم كلُّ مُفتَنٍ توّاب»(١)، أي: كثيرِ الذنوبِ كثيرِ التوبةِ عنها.

وللتوبةِ شروطٌ [و] لوازمُ، فمتى جاء بشروطِها ولوازمِها، وأتى بها على وجهِها قُبِلَت منهُ لا محالة؛ لأنّ اللهَ لا يأمُرُ بشيءٍ ويأتي بِهِ المأمورُ ولا يقبَلُه: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخۡلِفُ ٱلۡمِيعَادَ﴾ [الرعد: ٣١].

---

(١) أخرجه مرفوعاً البيهقي في «شعَب الإيمان» ١٥: ١٥٤ (٦٨٥٧)، والقضاعي في «مسند الشهاب» ٤: ٤١٦. وأخرجه البيهقي أيضاً موقوفاً على عليٍّ رضيَ الله عنه، في «الشعَب» ١٥: ١٥٣ (٦٨٥٦)، وكلا الوجهين ضعيف.

ثُم إنّ الناظم رضيَ اللهُ عنه لـمّا سأل منَ الله تعالى أن يُمنَّ عليه بالتوبة وتيسيرِ أسبابِها الحاملةِ عليها، والعصمةَ والحفظَ عنِ الذنوب، والعوْدِ إليها بعدَ التوبةِ منها، أخَذَ في الثناءِ على الله بما هُوَ أهلُهُ، مِن كونِه مَوْلى الـمَوالي، وانفرَدَ بالـمُلكِ الحقيقيِّ والتعالي المعنَويِّ عن دَرْكِهِ بِضَرْبِ الأمثال، والوهمِ والخيال، ووصَفَهُ بالجودِ والفضلِ والبِرِّ المرجُوّ، والبطشِ والقهرِ الـمَخْشِيّ، والشكرِ والذكْرِ والحمدِ والإجلالِ اللازم على العبدِ فقال:

فأنتَ موْلى الـمَوَالي

المعنى: أنّ الحقَّ سبحانَه هُوَ المولى الحقيقيُّ ليس لغيرِه معَهُ وِلايةٌ ولا مَثْنَويّةٌ في مملكتِه ولا في تدبيرِها وتقديرِها وتصويرِها، بل هُوَ المنفرِدُ بذلك وما سواهُ داخلٌ في مملكتِهِ وغيرُ خارجٍ عن قبضتِهِ، ولا يُشعرُ قولُه: «الموالي» أنّ ثمةَ تعداداً وكثرةً، وإنّما هُوَ عندَ مَن توهَّمَ وجودَ ذلك، ومرادُه نفيُ هذا التوهُّمِ الفاسدِ والرأي الرديِّ، ولأنّ هذا أوقَعُ في إيقاع التعظيم والإجلال في القلبِ لله عزَّ وجَلَّ، وإلّا فهُوَ سبحانَه كما قال رضيَ اللهُ عنهُ [٣٢أ]:

الـمُنْفرِدُ بالكمالِ

والـمُنْفرِدُ بمعنى الواحد، وهُوَ مِن أسمائه عزَّ وجَلّ، ومعناه: الذي لا يتَجَزّى ولا يتَثنّى ولا يُتَصوّرُ أن يشاركَهُ في وجودِه غيرُه أصلاً. والمعنى: أنه سبحانَه المتوحِّدُ والمنفردُ بالكمالِ الحقيقيِّ، ليس لغيرِه منَ الكمالِ شيءٌ بالحقيقة، وإنّما يكونُ كمالُ غيرِه بالمجاز، والنِّسبة بالإضافةِ إلى غيرِه مِن أبناءِ جنسِه. والكمالُ أيضاً يُناقضُ

النقصَ، والعبوديّةُ أعظمُ النقص بالإضافةِ إلى الكمالِ الـمُطلق، وهيَ إجلالُ الله في حقِّ المخلوقين. والكمالُ هُوَ: مجموعُ أوصافِ الجلالِ ونعوتِ الجمالِ لله عزَّ وجَلّ.

وكما أنه سبحانَه الـمُنفرِدُ بالكمالِ فهُوَ الـمُنفردُ بالعُلى والتعالي أيضاً كما قال رضيَ اللهُ عنهُ:

وبالعُـلا والتّـعالي

ومتوحِّدٌ ومتفرِّدٌ بالعُلا والارتفاع الحقيقيِّ المعنَويِّ مِن حيث هُوَ التعالي عن أن يُدرِكَ كُنْهَ جلالِهِ عقل، أو يظفرَ بهِ خيال أو وهْم، أو يحصُرَهُ عدّ أو يحيطَ بهِ حدّ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

والعَليُّ مِن أسمائه تعالى وهُوَ: الذي لا رُتبةَ فوقَ رُتبتِهِ، وكلُّ الرُّتبِ منحطّةٌ عنه، وكذا المتعالي، معَ نوع مبالغةٍ في العلوّ، ويَقرُبُ مِن ذلك اسمُه تعالى: **العزيز**، وهُوَ: الخطير الذي يقلُّ وجودُ مثلِهِ وتشتدُّ الحاجةُ إليه(١)، ويصعبُ الوصولُ إليه، ولذلك قال رضيَ اللهُ عنه:

علَوْتَ عن ضَرْبِ الامثالْ

تعالى عن ضربِ الأمثالِ المؤدّيةِ إلى العلم بالمعلوم وما أدّاه أمثالٌ أو خيالٌ أو وهـمٌ أو علـمٌ أو حـدٌّ أو عَـدٌّ، فاللهُ [٣٢ب] عزَّ وجَلَّ مِن وراءِ ذلك كلِّه، ومحالٌ أن يُدرِكَ المخلوقُ وخالقَه وبارئَه، أو يطمَحَ بنظرِهِ إلى كُنْهِ تعاليهِ، تعالى اللهُ

---

(١) قوله: (يقلُّ وجود مثله...) بيانٌ للمعنى من حيث اللغة، فإنّ الحق تعالى عديم المثلِ والنظير، سبحانه. (إياد).

عن ذلكَ عُلُوّاً كبيراً. ولسيّدِنا الناظم في معنى ذلكَ وفي الثناءِ على الله عزَّ وجَلَّ نظْماً: [مجزوء الكامل]

وعلَـوْتَ عنْ أَدْراكِنا ... وإن اطلعنـا الاعتنـا
فنهـايــةُ الـمتعمِّقيـ ... ـنَ تَـحيّـرٌ يـا مُعِنا
مـا عنـهُ حِـرْنا إنّمـا ... فيـهِ يـَحيـرُ لِعجْـزِنا

أي: أنّ مَن أطلَقَ طرْفَهُ في هذا المهيَعِ الواسع والجَنابِ الأرفع يَرجِعُ خاسئاً وهُوَ حَسِير، وإلى كونِ الرقيِّ إلى هذا الأوْج الأرفع، والدخولِ في هذا الحِمى الأمنَع، والإحاطةِ بالحضرةِ المقدَّسةِ: ممنوعٌ: قال بعضُ العارفينَ الذائقينَ ـ مشيراً إلى أنّ الحريصَ على نيْل العزيزِ المنال، والمعرِّجَ على تحصيل مطلبِهِ منه، بشبكةِ الفكرِ والفهمِ والخيال، راجعٌ بالدهَش والحيْرةِ، وعمى البصرِ والبصيرةِ ـ نظماً في ذلك فقال:

ليس عندَ الخَلْقِ مِن خبَرْ ... عنـكَ يـا أُغلُوطَةَ الفِكَرِ
تاهَتِ الألبابُ فيـكَ مـا ... مَـيَّـزَتْ وِرداً منَ الصَّـدَرِ
عَمِيَـتْ أنبـاءُ ذاك علـى ... كلِّهـم في البَـدْوِ والحضَرِ
وغــداً يَســأَلُ بعضُهـمْ ... عنــكَ عــلَّ مِـن خبَـرِ
فانثَـنَـوْا والله ما وقَـعُـوا ... لا على عيــنٍ ولا أثَـــرِ
حَيــرةٌ عَمَـتْ فـأي فتى ... رامَ عِــرْفاناً فلـم يـَحَـرِ
بـل عظيـمُ القومِ مَطْلَبُهْ ... شدّةُ التحييـرِ والـحَصَـرِ

ثُم قال هذا العارفُ المشارُ إليهِ قريباً، متحيِّراً ومتعجِّباً مِن هذا الأمر، كيف اختفى معَ شدّةِ ظهورِه، وكيف احتجَبَ معَ إشراقِ نورِه:

[رمل]

كيف حاروا فيكَ واعجَبا | يـا مُنى قلبي ويـا بصَري
أنـتَ لا تخفى على أحـدٍ | غيـرَ أعشى الفِكرِ والنظرِ
أو على شخصٍ بـهِ كَمَـهٌ | لـم يُشاهدْ صورةَ القمـرِ [٣٣أ]
بالظُّهورِ الصِّرْفِ مُحتجِبٌ | أنـت هـذا صَحَّ في الأثـرِ

والنورُ، والظاهر، والباطنُ: مِن أسمائِهِ سبحانَه، فهُوَ **النورُ**: مِن حيث ظهورُهُ في نفْسِه وظهورُ كلِّ الأشياءِ به، و**الظاهرُ**: إن طُلِبَ بالعقلِ مِن حيثُ الاستدلال، و**الباطنُ**: مِن حيثُ تطلُّعُ الحواسِّ والخيال، وإليهِ الإشارةُ بمعنى الأبيات.

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

جودُكْ وفضْلُكْ وبِرُّكْ * يُرْجى

الـجُودُ مِن أوصافِ الحقِّ الجماليّـة، وكذا الفضلُ والبِرّ. والجَوَادُ مِن أسمائه تعالى.

وجودُهُ وفضلُهُ وبِرُّه هُوَ: بذْلُ الأرفاقِ والمنافع وسُدُّ الخُلّاتِ والحاجات، وذلك للمستحقِّ وغيرِه. ولا يكونُ ذلك لعِلّةٍ ولا لحاجةٍ ولا لغرَض، إذْ لا يُتصوَّرُ في حقِّه بل بمقتضى رحمتِه السابقةِ لغضَبِه، ولا يمكنُ ذلكَ لغيرِه أبداً، إذ كتَبَ سبحانَهُ على نفْسِهِ الرحمة، ولا يخرُجُ عنها موجودٌ قطّ؛ لأنها وَسِعَتْ كلَّ شيء.

والوهّابُ مِن أسمائه أيضاً، وهُوَ الـمُعطي الكلّ محتاج ما يحتاجُه لغيرِ غرَض ولا لِعوَض ولا لحظّ، ولا يُتصوَّرُ ذلكَ لغيرِ الله عزَّ وعلا.

ويلزمُ مِن وجودِ الجودِ والفضلِ والرحمةِ رجاءُ الموصوفِ والمنعوتِ بها، وهُوَ اللهُ عزَّ وجَلّ، ولذلكَ قال: «يُرجى». وقد تقدَّم أنّ الخوفَ والرجاءَ بحسَبِ ما يجري على القلبِ منَ العلم بالصِّفاتِ: الـمَخُوفةِ والـمَرْجوّة، والصِّفاتُ المرجوّةُ: كالجود والرحمةِ والفضل والبِرّ واللطفِ والعطف، والصِّفاتُ المخُوفةُ: كالانتقام والبطش والقهر المذكورِ بقولِه رضيَ اللهُ عنه:

وبطْشُكْ وقهْرُكْ * يُخشى

والقاهرُ مِن أسمائِه تعالى، وهُوَ: القاصمُ ظهورَ الجَبابرةِ مِن أعدائه [٣٣ب]، بل الذي لا موجودَ إلّا وهُوَ مُسخَّرٌ تحتَ قهرِه. ويقرُبُ منه اسمُهُ الجبّار، وهُوَ: الذي تنفُذُ مشيئتُهُ في كلِّ أحدٍ على سبيل الإجبار، ولا تنفُذُ فيهِ مشيئةُ أحد، وكذا المنتقِم، وهُوَ الـمُنكِّلُ بالجُفاةِ والطُّغاةِ، وليس جميعُهُ إلّا لله عزَّ وجَلّ، ولذلكَ أضافَ الناظمُ صفةَ القهرِ إليه سبحانَه وخصَّهُ بها بقولِهِ: «وقهْرُكْ» فافهَمْ.

والقهْرُ مِن صفاتِهِ الجَلاليّة، وكذا البطْشُ وهُوَ: الأخذُ بسرعةٍ والتنكيلُ والـمُثْلةُ، والقهرُ هُوَ: الجبْر. ومِن ذلكَ: حكمُهُ على مَن يشاءُ بما يشاء، ودخولُ كلِّ شيءٍ تحتَ حُكمِهِ وطاعتِهِ وقدرتِهِ ومشيئتِهِ، ليس لغيرِه مِن نفْسِهِ حكم، بل لهُ الأمرُ والحُكمُ جميعاً: ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

لا رادَّ لحُكمِه، ولا معقِّبَ لقضائه، ما شاء كان وما لم يشَأْ لم يكنْ، لا يخرُجُ عن مشيئتِهِ لفْتةُ ناظر، ولا فلْتةُ خاطر، ولا يشُذُّ عن قبضتِهِ وتصرُّفِهِ مقدورٌ وكائن، وأنى يكونُ للمدبَّرِ والمقدَّرِ تصرُّفٌ وتدبير وهُوَ في تصريفِ القاهرِ القدير؟

ثُم إنّ الناظمَ بعدَ هذا لم يشهدْ إلّا فضلاً محْضاً وجُوداً صِرْفاً، ومنهُ سابقةٌ عامّة ونعمةٌ سابغة، وأنه ليس للعبدِ معَ ربِّه منَ الأمرِ شيء، وأنّ وَظِيفتَـهُ الاستسلامُ والانطراحُ تحتَ قهرِه وقسْرِه، وأنّ ما بكمْ مِن نعمةٍ فمنَ الله وحدَه لا شريكَ لهُ فيها، فقال رضيَ اللهُ عنهُ:

وشُكرُكْ وذِكْرُكْ * لازِمْ وحمْدُكْ والاجْلالْ

والشكرُ لله على أنواع: **فشكرٌ بالقلب**، وهُوَ: معرِفةُ كونِ النعمةِ منَ الله تعالى ليس فيها شريكٌ ولا وزيرٌ ولا مُعينٌ ولا نَصِيرٌ في إسدائها إلى الـمُنعَم عليه بها.

وشكرُ الجوارح [٣٤أ]: استعمالُها في طاعةِ الـمُنعِم بها سبحانَه.

وشكرٌ باللسان [و] هُوَ: الثناءُ على الله بما هُوَ أهلُهُ، معَ استشعارِ التقصيرِ عن بلوغ النهايةِ والإحصاءِ في ذلك، بأن يقولَ حالاً وقالاً كما قال سيّدُ البشر: «لا أُحصي ثناءً عليك، أنتَ كما أثنيتَ على نفسِك»(١).

وكمالُ شكرِ هذه الثلاثةِ، بل هُوَ أصلُهُ: ألّا يُعصَى اللهُ بشيءٍ منها، فمتى عصاهُ بشيءٍ منها فقد كفَرَ نعمتَـه، واستوجَبَ نِقمتَـه، وتعرَّضَ لسلْبِها عنه، إذِ الشكرُ: قيْدُ النِّعَم، ومُوجِبٌ لمزيدِها ودوامِها: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ﴾ النعمةَ ﴿لَأَزِيدَنَّكُمْ﴾ منها ﴿وَلَئِن كَفَرْتُمْ﴾ بها ـ بتَرْكِ شكرِها ـ ﴿إِنَّ عَذَابِي﴾ ـ في سلبي إياها عنكم ـ عليكم ﴿لَشَدِيدٌ﴾ [إبراهيم: ٧].

---

(١) أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٧٥١)، وغيره، من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه.

وقد قيل: مَن شكَرَ النِّعَمَ فقد قيَّدَها بعقالِها، ومَن لم يشكُرْها فقد تعرَّض لزوالِها.

والشكرُ يكونُ أبداً في مقابلةِ النعمة، وهُي بالحقيقة: ما رُجِيَ ثوابُهُ وحُمِدَ مَآبُهُ في الدارِ الآخرة، وذلك كالإيمانِ واليقينِ ومقتضياتِها العمليّـةِ والوصْفية، ويدخُلُ في هذه النعمةِ جميعُ البلايا المتَلقاةُ بالصبرِ الجميل، وقد قيل: إنها النِّعمُ الـمُسبَغةُ الباطنةُ في قولِهِ تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُۥ ظَٰهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠]. والظاهرةُ هيَ: الـمَلاذُّ الجِسميّةُ الـمُلائمةُ للنفْس، المقصورُ نظرُ العوامِّ على عَدِّها نعمةً لا غير، ومِن شأنِ المؤمنِ الشفيقِ على دينِه الـمُهِمِّهِ أمرُ آخرته إذا رأى عليه نعمةً، أيةَ نعمةٍ كانت، أن يفرَحَ بها مِن حيثُ كونُها منَ الله، لا مِن حيثُ كونُها نعمةً فقط: ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ﴾ [يونس: ٥٨]، ويرجو رحمةَ ربِّه في أنه سبحانَه لم يُنعمْ عليهِ بها في الدنيا [٣٤ب] إلّا وسيجودُ عليهِ كذلك في الأخرى، وكذا إن خافَ أنْ لا يكونَ هذا منَ الاستدراجِ والمكْرِ مِن حيثُ لا يشعُر، فيكونَ فيها بينَ الرجاءِ والخوف، وهذا هُوَ المنهجُ المستقيمُ.

والذكْرُ هُوَ: إحضارُ المذكورِ، الله عزَّ وجَلّ في القلب، وعدَمُ غفْلتِهِ عنه، وذلكَ بحسَبِ ما يجري على اللسانِ مِن أنواع الذكْرِ باختلافِ معانيها، كالتوحيدِ والتنزيهِ والتعظيم عندَ التهليلِ والتسبيح والتكبير، وكذا جميعُ الأوصافِ: الجلاليّة والجماليّة والكماليّة لله، التي تعطيها الأسماءُ الحسنى، وتكونُ معانيها في القلب حسَب ما تضمّنَتْهُ الألفاظ. وهذا الذكرُ باعتبارِ المعنى الأخصّ، وأمّا المعنى الأعمِّ فكلُّ ما صَلَحَ بهِ التقرّبُ إلى الله عزَّ وجَلَّ وأريدَ بهِ وجهُهُ والدارُ الآخرةُ فهُوَ ذكْرٌ لهُ، وما لم يُرِدْ بهِ وجهُه فهُوَ غفْلةٌ عنهُ وإن كان صورتُهُ ذكْراً.

والذكْرُ أفضلُ الأعمالِ، بل هُوَ روحُها ومقصودُها، لقولِهِ تعالى: ﴿وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ﴾ [العنكبوت: ٤٥]، وفي الحديثِ، عنهُ ﷺ: «ما شُرعَتِ الشرائع ووُضِعَتِ المناسكُ إلّا لإقامةِ ذكْرِ الله تعالى»[١].

وهُوَ منشورُ الوِلاية، وفي الأمرِ بِهِ والحثِّ والمواظبةِ عليه والتحذيرِ منَ الغفْلةِ الـمُناقضةِ له، قال سيدُنا الناظم: [كامل]

والذكْـرَ لازِمْــهُ وواظِبْــهُ على مرِّ الزمانِ معَ الحضورِ الأجمعِ[٢]

وقال أيضاً: [بسيط]

واذكُـرْ إلهَــكَ ذكْـراً لا تُفـارِقُــهُ فإنّما الذكْرُ كالسُّلطانِ في القُرَبِ[٣]

وقال أيضاً: [طويل]

وإن شئتَ أن تَـحظى بقلـبٍ مُنَـوَّرٍ نقِيٍّ عنِ الأغيارِ فاعكُفْ على الذكْرِ
وثـابِـرْ عليـهِ في الظّـلامِ وفي الضِّيـا وفي كلِّ حالٍ باللسانِ وبالسِّرِّ [٣٥أ]
فــإنّــكَ إنْ لازَمـتَــهُ بتـوجُّــهٍ بـدا لكَ نورٌ ليس كالشمسِ والبدرِ
ولكنّــــهُ نــــورٌ مـــنَ الله وارِدٌ أتى ذكْرُهُ في سورةِ النُّورِ فاستَقْرِ[٤]

---

(١) لم أقف عليه فيما بين يدَيَّ من المصادر.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ العين)، ص٣٦٥.

(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة العاشرة من رَوِيِّ الباء)، ص٨٢.

(٤) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الأولى من رَوِيِّ الراء)، ص٢٠٩-٢١٠.

وقال أيضاً: [طويل]

ودُمْ ذاكراً فالذْكرُ نُورُ السريرةِ عليكَ بهِ في كلِّ حالٍ وحالةِ(١)

والحمدُ هُوَ: الثناءُ على الله بالجميلِ بما هُوَ أهلُهُ مِن غيرِ ملاحظةِ نعمةٍ، ولا يستحقُّهُ غيرُه، إذِ الحمدُ لله ربِّ العالمينَ وحدَه. ويقتضي إطلاقُ اسمِ الحمدِ لهُ إضافةُ جميعِ الأشياءِ إليهِ سبحانَه، ولا سببَ لها مِن نفسِها أزلاً وأبداً.

والإجلالُ هُوَ: التعظيمُ والتفخيمُ لله، باستشعارِ نعوتِ الجلالِ والكمالِ للكبيرِ المتعال، معَ رؤيةِ التقصيرِ في التشميرِ في الأعمال، والكفُّ عن مساخطِ الباري سبحانَه، بل يغيبُ عن رؤيةِ نفْسهِ وشهودِ وجودِهِ برؤيةِ ربِّه وشهودِ وجودِه: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] ولكنْ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] بهِ الـمُلْحِدونَ غيرَهُ في انفرادِه بالـمُلكِ والملكوت والعِزّةِ، والجبروت، والخَلْقِ والأمر، والشكرِ والذِّكْر.

والحمدُ والإجلالُ لازمٌ لله وواجبٌ في القيام بحقِّه، لا يخرُجُ عن لزومِ ذلك ووجوبِهِ لهُ تعالى موجودٌ، إذْ وصْفُهُ بالجلالِ والجمالِ يوجبُ لهُ ذلكَ بالضّرورة. والجليلُ والعظيمُ والكبيرُ والمتكبِّر: مِن أسمائه عزَّ وجَلّ. والجليلُ يوصَفُ بكمالِ الصِّفات، كما أنّ العظيمَ يوصَفُ بكمالِ [٣٥ب] الذاتِ والصِّفاتِ جميعاً. والكبير

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الثانية من رَوِيِّ التاء)، ص١١٧. والشطرة الأولى هنا هي ثانيةُ بيتٍ، والثانية هنا هي أُولى البيت الذي يليه.

بكمالِ الذات، والمتكبِّرُ: الناظرُ إلى الكلِّ صغيراً بالإضافةِ إلى ذاتِه، ولا يَرى الكبرياءَ والعظمةَ إلّا له، ولا يستحقُّ كلَّ ذلك إلّا اللهُ عزَّ وجَلّ.

ثُم إنّ الناظمَ بعدَ أن أثنى على الله عزَّ وجَلّ، سأل منهُ النصرَ والـمَعُونةَ والتأييد، وأن يُلَقِّيَهُ كلَّ خير، وأن يجعلَ مصيرَه جناتِ النعيم، وأن يختِمَ لهُ بالحُسنى، وهُوَ: الوفاةُ على الإيمان، فقال رضيَ اللهُ عنهُ ونفعَ بهِ آمين:

يا ربِّ أنتَ نَصِيري

أي: ليس لهُ ناصرٌ ولا مُعينٌ ولا مؤيِّدٌ ولا مُسدِّدٌ إلّا هُوَ سبحانَه وتعالى، بل كلُّ شيءٍ مفتقِرٌ إلى نصْرِهِ وتأييدِهِ، ومحتاجٌ إلى إعانتِهِ وتسديدِه، ومَن تخلَّفَ عن طاعتِهِ فقد خرَجَ عن نُصْرتِهِ بمفهوم قوله تعالى: ﴿إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ﴾ أي: بإجابةِ داعيهِ إلى طاعتهِ ﴿يَنصُرۡكُمۡ﴾ [محمد: ٧] بمعونتهِ ورحمتِه.

ومِن أعظمِ نصْرِهِ لعبادِهِ: تعريفُهم وهدايتُهم إلى سبيلِ رشادِه وطريقِ سَدادِه، ومِن ذلكَ: كفُّ أيدي الظالمينَ عنهم ﴿وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمۡ عَلَيۡكُمۡ﴾ [النساء: ٩٠].

وإذا كنتَ أنت نصيري:

فلَـقِّني كلَّ خَيرِ

أي: أعطِني كلَّ خيرٍ مِن خِزانةِ فضلِكَ وجُودِك. والخيرُ هُوَ: الصَّلاحُ العاجلُ والآجل، الشاملُ للباطنِ والظاهر، العامرُ للقلوبِ والسَّرائر. والمرادُ هنا: جميعُ الخيراتِ الآجلةِ والعاجلةِ الـمُعينةِ عليها. وأعظمُ الخيراتِ قدراً، وأجلُّها فخراً

هُوَ: الإيمانُ بالله والعملُ بطاعتهِ، والجِدُّ والتشميرُ في ذلك بأقصى غاياتِ الجُهدِ والإمكان، ودوامُ الإقبالِ على الله تعالى، والخضوعُ والخشوعُ [٣٦أ] لهُ سبحانَه، وتوجُّهُ القلبِ إليهِ في دائمِ الأوقاتِ، وعدَمُ الغفلةِ والإعراضِ عنه، والتوبةُ إليهِ والخوفُ منه، والرّجاءُ فيه والشكرُ له، والتوكّلُ عليه، والإخلاصُ له، والزُّهدُ مِن أجلِه، والمحبّةُ له، والرِّضا بقضائهِ والصّبرُ على بلائه. فهذهِ هيَ الخيراتُ الحقيقيةُ الـمُوصِلةُ إلى رضا الله ودخولِ جنّتِـهِ كما قال:

واجعَلْ جِنانَكْ مَصِيري

مأوايَ ومَثْواي، وذلك بالرحمةِ الإلهيّةِ الحاملةِ على النّصرِ مِن عندِ الله بالتوفيقِ لِـمَا هُوَ طريقٌ إليها منَ الأعمالِ والأخلاقِ المذكورة.

والجنّةُ: محلُّ الرَّوحِ والسرورِ والنّعيمِ الـمُقيم، وأجّلُّ ذلكَ وأعلاهُ، وأجملُهُ وأسناه: لقاءُ الله العظيم، والنظرُ إلى وجههِ الكريم، فهذا هُوَ النعيمُ كلُّه، بل يُنسى في جنبِهِ ما عداه، ويختصُّ ذلكَ بالوجوهِ الناضرة، التي هِيَ إلى ربِّها ناظرة، ويستلزِمُ دخولَ الجنّةِ الـمُسلتزِمةِ للوفاةِ على الإيمانِ كما قال رضيَ اللهُ عنه:

واخْتِمْ بالايمانْ الاجالْ

الوفاةُ على الإيمانِ أعظمُ وسيلةٍ وأجَلُّ ذخيرة، وهيَ فَرْعُ السابقة، إذْ ما سبَقَ في الأزلِ كان خاتمةَ الأجَل، والنظرُ إلى السابقةِ شأنُ العارفين، والنظرُ إلى الخاتمةِ شأنُ الخائفين، وكيفَ لا يكونُ وقلبُ المؤمنِ بينَ أُصْبُعيْنِ مِن أصابعِ الرحمن

كما في الحديث[1] كنايةً عن تصريفِ القُدرةِ لقلبِ العبدِ حسبَ ما جرَتِ المشيئةُ الأزليّةُ والإرادةُ الجازمةُ الحاكمة، اللهُمَّ اجعَلْ إلى رحمتِكَ ورضاك، ومجاوَرتِكَ في دارِ [٣٦ب] كرامتِكَ مُنقلَبَنا ومصيرَنا ورجوعَنا، واختِمْ لنا بالحُسنى في عافيةٍ، آمين.

ثُم إنّ الناظمَ رضيَ اللهُ عنه ـ بعدَ أن أطنبَ في الثناءِ على الله تعالى والدُّعاءِ والسؤالِ لهُ سبحانَه أن يُوفِّقَهُ للخيراتِ والعملِ بالصّالحاتِ جُملةً وتفصيلاً، وأن يُديمَهُ على ذلك حتى يأتيَهُ اليقينُ ـ سأل منهُ سبحانَه أن يُصلِّيَ على نبيِّهِ ورسولِهِ وحبيبِهِ وصَفيِّهِ، الصّدرِ المعظَّم والمتبوعِ المقدَّم محمّدٍ ﷺ، وعرَفَ أنْ لا نجاةَ ولا سعادةَ وفوزَ إلّا باتّباعِهِ والاقتداءِ بهِ والتأسّي بهِ والسيرِ بهَدْيِهِ فقال نفَعَ اللهُ به:

وصَلِّ في كلِّ حالَـهْ

طلَبَ مِن ربِّهِ أن يُصلِّيَ عليهِ كلَّ الحالاتِ: دأَباً سَرْمداً، صلاةً باقيةً ببقاءِ الله أبداً.

ومعنى الصّلاةِ منَ الله: الرحمة، وتكونُ بحسَبِ المرحوم وباعتبارِ رُتبتِهِ ومنزلتِهِ، وهيَ صلَواتُ الله عليهِ بأكملِ المراتبِ وأعلاها، وأجَلِّ المنازلِ وأسناها، فتكونُ الرحمةُ لهُ المعبَّرُ عنها بالصلاةِ، حسَبَ ما يليقُ بعُلوِّ مقامِهِ ورِفعةِ درجتِهِ، وبهذا يظهرُ أنهُ لا يُتصوَّرُ خلُوُّ أحدٍ عنِ الاحتياجِ إلى رحمةِ الله عزَّ وجَلّ، ولو كان ذلكَ لكان أفضلَ المخلوقين، وسيّدَ الأنبياءِ والمرسَلين، وخيرَ البرِيّةِ عندَ ربِّ العالمين، فإنّهُ كاملُ الذاتِ والصِّفات والأقوالِ والأفعال، فهُوَ أيضاً يقبَلُ التكميل.

---

(١) الذي أخرجه مسلمٌ في «صحيحه» (٤٧٩٨)، وغيرُه، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رضيَ الله عنهما.

ويدخُلُ سؤالُ السلامِ [٣٧أ] عليهِ في طلبِ الصّلاةِ ضمناً؛ لأنّ السلامَ مِن جُملةِ الرحمةِ المسؤولةِ بالصلاةِ لهُ منَ الله، وأن تكونَ الصلاةُ والسلامُ بكلِّ وقتٍ ومقام:

على مُزيلِ الضّلالَـهْ

مُزيلِ الكفْرِ والشِّركِ والبدعة حينَ دهَمَ وغَيْهَبَ دَيْجورُها، وخَبَا صُبحُ شموسِ الإسلام والإيمانِ ونورُها، فاطّلعَ بدرُ الهداية في أبراجِ الدعاية، ودفَعَ في نحورِ الفُجّارِ والمعاندينَ ورَدَّ في وجوهِ أعداءِ الدِّين، وسَلَّ سيفَهُ على البُغَاةِ والمعتدين، وفي ذلكَ يقولُ الناظمُ نفَعَ اللهُ به: [طويل]

وأنكَـرَ أقوامٌ وصَدُّوا وأعـرَضُـوا ... فقوَّمَهُـمْ بـالـمُرْهَفَـاتِ البَـواتـرِ
وسار إليهِـمْ بـالجيوشِ وبعضُهُمْ ... ملائكـةٌ أعظِـمْ بهِـمْ مِـن مؤازرِ
إلى أن أجابوا دعوةَ الحقِّ والـهُدى ... وأسلَـمَ منهمْ كـلُّ طـاغٍ وكـافـرِ
فأدخَلَهمْ في الـدِّينِ قهـراً وعُنْـوةً ... بحدِّ الـمَوَاضي والرِّماحِ الشواجرِ
لِسطوتِـهِ تـخشى الملـوكُ وتتَّقـي ... ومِن بأسِهِ خافتْ حُماةُ العشائرِ[١]

ثُم قال:

مَن كلَّمَتْـهُ الغزالَـهْ

أي: أنهُ صلّى اللهُ عليهِ وسلّمَ كلّمتْه الغزالة، وقيل: إنها استجارتْ بهِ في

---

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٦٦.

واقعةٍ مشهورة[١]، وقيل في ذلك شعراً: [طويل]

وكلَّمَهُ ذئبٌ وضَبٌّ وظَبْيَةٌ وطفلٌ صغيـرٌ سِنُّهُ وبعيـرُ

وهذا مِن أقربِ معجزاتِه، ورشْفةٌ مِن بحارِ آياتِه، ونزْرٌ مِن خوارقِ عاداتِه، وهِيَ أعظمُ مِن أن تُعدَّ وتُحصى، وأكبرُ [٣٧ب] مِن أن يُـحاطَ بها وتُستقصَى.

وأفخمُ المعجزاتِ شأناً، وأوضحُها صِحّةً وبرهاناً: إتيانُهُ بالقرآنِ الكريم مِن لدُنْ ربِّهِ العظيم، فهُوَ المعجزةُ الظاهرة، والآيةُ الباهرة: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢]. ولسيّدنا الناظمِ في ذلك: [طويل]

وآتـــاهُ قـرآنـــاً بـــهِ أعجـزَ الورى جميعاً على التأبـيدِ يا لَكَ مِن غَلْبِ[٢]

وقال أيضاً: [طويل]

ومعجزةُ القرآنِ في عُظمِ شأنِها مـؤبَّدةٌ حتى قيامِ الـمَحاشرِ[٣]

ثُم قال رضيَ اللهُ عنه:

---

(١) تكليم الغزالة أخرجه البيهقي في «دلائل النبوّة» بإسنادٍ ضعيف، وأثبتُ منه وأصحُّ تكليمُ الجمل، وتكليمُ الجمادات، ومن الأخيرِ أمرُه ﷺ لجبل أُحُدٍ بالثبات، وهو في الصحيحين، وتسليمُ الـحَجَر عليه ﷺ كما ثبتَ في «صحيح مسلم» (٢٢٧٦). وانظر «الخصائص الكبرى» للحافظ السيوطي ٢: ٥٦-٥٩.

(٢) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة الخامسة من رَوِيِّ الباء)، ص٦٧.

(٣) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٦٦.

محمّدِ الهادي الدَّالْ

اشتَقَّ اسمَه مِن نعتِه، فهُوَ الحامدُ المحمودُ ذاتاً وصفاتٍ وفعلاً وقولاً، بل في كلِّ أحوالِهِ وشؤونِه ومن جميعِ وجوهِه، الهادي للعباد إلى سبيل الـهُدى والرشاد، والدالُّ لهم على الحقِّ الإلهِ الـجَوَاد، بتيسيرِ مناهجِ السّداد، المعرِّفُ لهم جميعَ ما يُصلِحهم في المبدإِ والمعاد، ظاهراً وباطناً، لم يرَ لهم خيراً إلّا وأبانَ لهم سبُلَه، ولم ينظُرْ لهم نجاحاً إلّا وطَّدَ معقِلَه، لم يترُكْ لهم في النُّصح جُهداً، ولا طاقةً ومستطاعاً وبُدّاً، حضَّرَ وبصَّر، وأنذَرَ وبشَّر، ذاك النبيُّ المختار: [كامل]

المصطفى هادي الأنامِ إلى الـهُدى ... زَيْـنِ الوجـودِ وخِيرةِ الأخيـارِ
الـمُجتبى الـمُنـتقى مِن هاشمٍ ... بحرِ النَّدى والفضـلِ والإيثـارِ
ومحمّدِ المحمـودِ ذِي الجاهِ الذي ... وسِـعَ البَـرايا سيِّـدِ الأبـرارِ
خيـرِ الوَرى ومَلاذِ كـلِّ مؤمِّلٍ ... ومُـدمِّـرِ الطّـاغِيـنَ والكفّـارِ
ومُقـدَّمِ الـرُّسْلِ الكرامِ إمامِـهمْ ... وخِتـامِهمْ مِن غيـرِ مـا إنكـارِ
قـد خصَّـهُ الربُّ الكريمُ بقُرْبِهِ ... ورضـاهُ والغُفرانِ والإسـرارِ[1] [٣٨أ]

ثُم إنّ الناظمَ رضيَ اللهُ عنهُ، بعدَ أن نطَقَ بهذه المنظومةِ قولاً، وتحقَّقَ بمعانيها حالاً، رأى أنّ الـمِنّـةَ في ذلك لله وحدَه، حيث أجرى ألفاظَها على لسانِه، وأثبتَ معانيَها في جَنانِه، ووفّقَ لذلك وسدَّد، وألهَمَ وأرشد، شكَرَهُ على هذه النِّعمةِ التي هيَ مِن أجَلِّ النِّعَم، الـمُسْداةِ مِن فيضِ الجودِ والكرم، فقال:

---

(١) الأبياتُ للإمام الحدّاد، (القصيدة الثامنةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٧٤.

والحمدُ لله شُكْرا

الحمدُ هُوَ الثناءُ على الله عزَّ وجَلَّ مِن غيرِ ملاحظةِ نعمةٍ كما تقدَّمَ عندَ قولهِ: «وحَمْدُكْ والاجْلَالْ» وذلكَ بذِكرِ أوصافِ الـجَمال، والعُلوِّ والكمال، وهنا يُرادُ بالحمدِ الشكرُ كما قال: «شكرا». وقد تقدَّمَ بعضُ كلامٍ في الشكرِ عندَ قولهِ: «وشُكرُكْ وذكْرُكْ».

والحميدُ مِن أسمائه تعالى، وهُوَ: الذي يُعطي الجزيلَ بالعملِ القليل، والكثيرَ باليسير، والغيرَ المحدود بالعملِ المعدود، والذي يُثني على عملِ عبادِه. وهُوَ الموفِّقُ للعمل، فهُوَ مُثْنٍ على نفْسِهِ وليس إلّا اللهُ عزَّ وجَلّ، وفي معناهُ: الشَّكور. وهُوَ مِن أسمائه تعالى، وهُوَ منَ الأسماءِ الإلهيّـةِ التسعةِ والتسعين، بل هُوَ أشرَفُها لكونِها راجعةً بمعانيها إليه، وهُوَ لا يُضافُ إلى شيءٍ منها، فيقالُ: الرحيم مِن أسماءِ الله، ولا يقال: اللهُ مِن أسماءِ الرحيم.

واللهُ: دِلالةٌ على الموجودِ الحقّ، الجامعِ لجميعِ الكمالاتِ الحقيقية، ولا يُتصوَّرُ ذلكَ لغيرِه.

وهذا الحمدُ والشكرُ لله تعالى:

على نِعَمْ منهُ تَـتْرى

على نِعمِه [٣٨ب] الـمُتواترة، وأياديهِ المتظاهرة، الكائنةِ في الدنيا والآخرة، وقد تقدَّمَ بعضُ تفصيلٍ للنِّعم عندَ قولِه: «وشكرُكْ لازمْ»، وهيَ عائدةٌ بالحقيقةِ إلى

ما لهُ جدوى ونفْعٌ في الدِّين، مِن قوةِ إيمانٍ ويقينٍ وتوفيقٍ وتيسيرٍ للعمل لربِّ العالمين، وكونِ ذلكَ ابتغاءَ وجهِهِ سبحانَه والقُربِ منهُ والإعانةِ للعبدِ على نفْسِهِ وشيطانِهِ وجميع القواطعِ لهُ عن سبيلِ الاستقامةِ على سَنَنِ الـهُدى، وكذا الصّحةُ والفراغُ، والغِـنى والاستغناءُ عنِ الخلق، ودفْعُ التشويشاتِ الـمُشغِلةِ للقلبِ عنِ الحقّ، الصّارفةِ وجهَهُ إلى تدبيرِ ما شأْنُهُ الإعراضُ عنِ الله عزَّ وجَلّ، والغفولُ عنِ الإقبالِ عليهِ سبحانَه، ودفْعُ الأمراضِ والأسقام، والبلايا والرَّزايا النازلةِ بالقلوبِ والقوالبِ، والظواهرِ والسَّرائر.

وحمدُنا لهُ سبحانَه تعالى لازمٌ وواجبٌ وحتْمٌ، ظاهراً وباطناً كما قال:

نحمَدْهُ سِرّاً وجَهْرا

سرّاً: بالقلوبِ والسرائر، وذلكَ بمعرفةِ أنّ كلَّ نعمةٍ بنا ـ كائنةً ما كانت ـ منَ الله وحدَهُ وأنه المنفردُ بخلقِها وإبدائها وإخراجِها منَ العَدمِ المحْض، والمتوحِّدُ بإسدائها، المتفضِّلُ بها على مَن شاء كيفَ شاء، وأنّ تلك النِّعمةَ خرَجَتْ على أكملِ ما ينبغي وأجملِ ما يُستحسَنُ، لكونِها على وَفْقِ العِلمِ الأزليِّ والإرادةِ الجازمةِ والمشيئةِ الحاكمة.

وجهْراً، أي: ظاهراً، وبالأعمالِ والجوارح، بأن يدْأَبَ ويجتهدَ في الأعمالِ الظاهرة حسَبَ إمكانِه، كالصّلاةِ والصِّيام والحجِّ والجهادِ وغيرِ ذلك، معَ مراعاةِ الحضـورِ معَ الله، [٣٩أ] وأن يكُفَّ جوارحَـهُ عن تعاطي المحظـوراتِ والقبائـح وملذوذاتِ الشهوات، وكذا سِرّاً وجهراً، في الخَلا والـمَلا: ﴿وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ﴾ [الضحى: ١١].

ونحمَدُهُ سبحانَه أيضاً:

وبالغدايا والاصالْ

بالبكورِ والآصال، في كلِّ حينٍ وحال. وبالقلبِ والجَنان، والجوارح والأركان.

والثناءُ باللسانِ وسائرِ ما يُستطاعُ في حقِّ العباد لِربِّهم مِن واجبِ شكرِه عليهم. وأينَ للعبدِ أنْ يستطيعَ أنْ يشكُرَ مَولاه على ما جادَ بِهِ عليهِ وأسداه، وأنى تكونُ طاقةٌ لمخلوقٍ في القيام بحقِّ خالقِهِ وهُوَ يقولُ سبحانَه: ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١٨]. وكلُّ نعمةٍ دقيقةٍ وجليلة محتاجةٌ إلى شكرِ الـمُنعِمِ بها، وقد قال سيدي الناظمُ في كتابه «النّصائحِ الدينية» بعدَ قولِه تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]: ولن يستطيعَ العبدُ ـ ولو كان لهُ ألفُ ألفِ نفسٍ إلى نفْسِهِ وألفُ ألفِ عُمرٍ إلى عمُرِهِ ـ أن يتّقيَ اللهَ حقَّ تُقاتِهِ ولو أنفَقَ جميعَ ذلكَ في طاعةِ الله ومحَابِّه، وذلكَ لعِظَمِ حقِّ الله على عبادِه، ولجلالِ عظَمتِه وعُلوِّ كبريائه وارتفاعِ مجدِه، وقدقال أفضلُ القائمين بحقِّ الله تعالى، وأكملُهم، محمدٌ صلّى اللهُ عليهِ وسلَّمَ في دعائه، اعترافاً بالعجزِ عنِ القيامِ بإحصاءِ الثناءِ على الله: «أعوذُ بِرضاكَ مِن سخَطِك، وبمعافاتكَ مِن عقوبتِك، وأعوذُ بكَ منك، لا أُحصي ثناءً عليك، أنت كما أثنيتَ على نفْسِك»[1].

وقد بلَغَنا أنّ لله عزَّ وجَلَّ ملائكةً [٣٩ب] لا يزالونَ منذُ خلَقَهُم اللهُ في ركوعٍ وسجودٍ وتسبيح وتقديس، لا يَفتُرونَ عنهُ ولا يشتغلونَ بغيرِه، فإذا كان يومُ

---

(١) تقدَّم تخريجُه وأنه في «صحيحِ مسلمٍ» وغيرِه.

القيامةِ يقولونَ: سبحانَكَ ولكَ الحمد، ما عَرفْناكَ حقَّ معرفتِك، ولا عبَدْناكَ حقَّ عبادتِك.

ثُم كيفَ يكونُ العبدُ قادراً على القيامِ بالشكرِ على كلِّ نعمة؟ وأيضاً، فالشكرُ على النعمةِ نعمةٌ أخرى يحتاجُ إلى شكرٍ آخر، قال سيّدُنا الناظمُ قولاً ونُطقاً وتحقيقاً وذوقاً: [طويل]

فلستُ بشكرِ الله ربّي وخالقي ... أقومُ على إحسانِهِ المتواترِ
ولكنّني بالعجزِ عن حقِّ شُكرِهِ ... مُقرٌّ ولو شمَّرتُ في سعي شاكرِ
ولو كانَ لي عُمرُ الدُّنى وقَطَعتُهُ ... بأفضلِ شكرِ الشاكرينَ الأكابرِ
وأضعافِ أضعافِ الجميعِ مضاعفاً ... بلا أمَدٍ يأتي عليهِ وآخرِ
لَمَا قُمتُ بالشكرِ الذي هُوَ أهلُهُ ... وكنتُ معَ التشميرِ في وصفِ قاصرِ
فكيفَ وإنّي لستُ في حفظِ حقِّهِ ... وفي شُكْرِهِ آتٍ بِطوْقي وحاضرِ
وأستغفرُ اللهَ العظيمَ لِزلّتي ... وعجْزي وتقصيري وعُظْمِ جرائري
وأسألُهُ توفيقاً وغوْثاً ورحمةً ... ولُطفاً ويُسراً كاشفاً للمعاسرِ
وللعفْوِ والغُفْرانِ والصَّفْحِ أرتجي ... منَ الله غفّارِ الذُّنوبِ الكبائرِ
فظنّي جميلٌ في إلهي وخالقي ... وحسْبي به في قابلِ التوْبِ غافرِ[1]

* * *

(١) ديوان الإمام الحدّاد، (القصيدة السابعةَ عشرةَ من رَوِيِّ الراء)، ص٢٦٨-٢٦٩.

خـاتـمـةٌ

تشتملُ على إظهارِ شيءٍ ممّا خَفِيَ مِن أسرارِ هذهِ المنظومة وما أودَعَتْهُ منَ الأنوارِ وما فيها منَ الخوَاصِّ.

لا يخفى ما تضمّنَتْهُ هذه المنظومةُ الشريفة، والقصيدةُ الـمُنيفة، [٤٠أ] منَ الجواهـرِ العَليّـة، واليواقيتِ السَّنيّـة، والدقائـقِ والرقائـقِ والحقائـق، واللطائف والطّرائف والمعارف، بالرمزِ والتلويح والتوضيحِ والتصريح، مِن علوم التوحيدِ والتفريد، والتنزيهِ والتقديس، وما اشتملتْ عليهِ مِن علومِ الإسلامِ والإيمانِ واليقين، بالإشارةِ والتبيين، والدُّعاءِ والسؤال، والتضرُّعِ والابتهال، والخضوعِ والانكسارِ والخشوعِ، والغَيْبَـةِ عن شهودِ النفْسِ بشهودِ الحقِّ، والاعترافِ بالعجزِ عنِ القيامِ بواجبِ حقِّه تعالى ورؤيةِ الـمِنّةِ لله في كلِّ الحالات، والإقرارِ بالنِّعمةِ لهُ سبحانَه، والشكرِ عليها، وسؤالِ الـمَنِّ منهُ بالإقبالِ عليهِ والكينونةِ لهُ وإصلاحِ القلبِ والقصدِ والعملِ، والإدراكِ بالرحمةِ في الحال، والسترِ على الذنوب ومحْقِها بالعفوِ، والاستعانةِ بهِ عزَّ وجَلّ على مداواةِ القلب، وإزاحةِ الغَمِّ والكرْب، بالنظرِ إليهِ عنه، وحلولِ العوافي، وهزْم العسرِ باليسر، والـمَنِّ بالتوبةِ منَ المخالفات، والعِصْمةِ منَ الأوْبِ والعودِ إليها، وإعطاءِ كلِّ خير، وجعْلِ المصيرِ الجِنانَ، والختْمِ والوفاةِ على الإيمان، معَ ما احتوتْ عليهِ منَ الثناءِ على الله عزَّ وجلَّ بنعوتِ الـجَلالِ والجمالِ والكمال، كالعلمِ بالأشياءِ والاطّلاعِ على أسرارِها، وكونِهِ ربَّ الأرباب،

ومالكَ الـمُلك، ومَوْلى الـمَوالي، [٤٠ب] وخيرَ كافي، والانفرادِ بالكمال، والتوحُّدِ بالتعالي، وعلوِّهِ عن ضربِ الأمثال، ونعتِهِ بالـجُودِ والفضل، والبرِّ والرحمة، والسَّعَةِ والسَّتر، والجلالِ، والبطشِ والقهرِ، وتوحُّدِه وتفرُّدِه بالجميع، وتوجيهِ الآمالِ إليه، والوقوفِ على بابهِ، والاعتمادِ والاستنادِ بالتوكّلِ عليهِ حقاً، وكونِ رضاه أقصى المطالب وأسنى المآرب، وحُسنِ الظنِّ بهِ والشكوى إليه مِن شؤم الظُّلمِ والإفْك، وسوءِ الفعلِ والترْك، وشهوةِ الكلامِ فيما لا يعني، والحبِّ للدنيا الذميمة، والاستعانةِ بهِ على النفْسِ الغَوِيّة عن طريقِ الرُّشد إلى سبيلِ الغَيّ.

واحتَوتْ هذه المنظومةُ أيضاً على ثمانيةٍ وسبعينَ اسماً مِن أسمائهِ تعالى ظاهرةً ومُضمَرة، وفيها ذكْرُ الربوبيّةِ والاستعانةُ بها في أحَدَ عشَرَ موضعاً. والأسماءُ الإلهيّةُ هيَ قولُهُ:

يا ربّ، ويا عالِم، وإليك، وامنُنْ، وكُنْ، واصْلِحْ، ويا ربّ ويا ربّ، وعبدُك، وفقيرُك، ويا واسع، وجُودُك، وخيرُك، وعندَك، وعبدُك، وأدرِكْ، ورحمتِك، ويا موجِد، وموسِّع، وأسألُك، ويا مَن يرى، واطّلاعُك، وامحُ، بعفوِك، واصْلِحْ وربّي، وعليكَ وإليك، واستعنتُك، وربّي، وانظُرْ، ويا ربّ، ويا خيرَ كافي، واحُللْ، وعليك، ويا ربّ، وعبدُك، وبابُك، وعذابُك، وثوابُك، ورحمتُك، وأتاك، واهزِمْ، وبيُسرِك، [٤١أ] وجودُك، وامْنُنْ، واعصِمْ، وأنت، ومَولى الـمَوالي، والـمُنفرِد، وعَلَوتَ، وجودُك، وفضلُك، وبِرُّك، وبطشُك، وقهرُك، وشكرُك، وذكْرُك، وحمدُك، ويا ربّ، وأنت، ونصيري، ولقِّنِي، واجعَلْ، وجِنانك، واختِمْ، وصلِّ، والحمدُ لله، ومنهُ، ونحمَدُه.

هذا، ولو لم يكنْ فيها إلّا التضرُّعُ إلى الله عزَّ وجَلَّ والسؤالُ والدعاءُ له، والابتهالُ والانكسارُ إليه، والرجوعُ وتوجُّهُ القلبِ وإقبالُهُ عليه، وعدَمُ الغفلةِ والإعراضِ عنهُ، الذي هُوَ روحُ الأعمالِ ولُبُّها ومقصودُها وأصلُها، بل لا تُرادُ الأعمالُ الظاهرةُ والأخلاقُ الباطنةُ إلّا لتقويةِ الإيمانِ واليقينِ بالله الذي هُوَ مَنبَعُ هذه الخيراتِ والفضائلِ الـمُنبعِثةِ عنه.

وجميعُ ما ورَدَ في فضلِ الدُّعاءِ والسؤالِ لله والثناءِ على الله والتوجُّهِ إليهِ والإقبالِ عليه، شاملٌ لهذه المنظومةِ ووارِدٌ في فضلِها، بل فضائلُ سائرِ الأعمالِ في فضلِها، إذْ فيها رؤوسُ مقاصدِ الأعمالِ وأساسُ أصولِها كما لا يخفى ذلك على أربابِ البصائرِ، الناظرينَ مِن مِشكاةِ أنوارِ السرائرِ، الخارجينَ عن مَضِيقِ التقليدِ والصُّورِ والمباني، إلى مَهامِـهِ[1] الأرواحِ والأسرارِ والمعاني، وفيما ذُكِرَ تذكِرةٌ وتبصِرةٌ لأُولي الألبابِ، دونَ القانعينَ بالقشرِ عنِ اللُّبَابِ، الذين ضُرِبَ بينَهم [٤١ب] وبينَ الرحمةِ بسُورٍ لهُ بابٌ، وادُّخِرَ لهم مِن ورائه وقِبَلِهِ العذابُ، فإنْ لم تكنْ مِن أهلِ العقلِ والتحقيقِ، فلا أقلَّ مِن أن تكونَ مِن أهلِ النقْلِ والتصديقِ: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَـٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١].

فإنْ قد سمِعتَ ما ورَدَ في ذلكَ منَ الآياتِ القُرآنيةِ والأحاديثِ النبويّةِ والآثارِ الـمَرْويّة وإلّا فاسمَعْ شيئاً ممّا ورَدَ مِن ذلكَ في ذلكَ ممّا عساهُ أن يفتحَ بصيرَتَكَ وينوِّرَ سَريرتَك.

قال عزَّ مِن قائلٍ لنبيِّه ﷺ: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُواْ لِى وَلْيُؤْمِنُواْ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦]،

(١) المهامِهُ: جمعُ مَهْمَهٍ، وهو المفازةُ البعيدة.

وقال: ﴿ٱدۡعُونِيٓ أَسۡتَجِبۡ لَكُمۡۚ﴾ [غافر: ٦٠]، وقال لنبيِّه: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وقال: ﴿ٱدۡعُواْ رَبَّكُمۡ تَضَرُّعٗا وَخُفۡيَةًۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُعۡتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥].

والاعتداءُ هُوَ: الدعاءُ المنهيُّ عنهُ شرعاً، كالدعاءِ على نفْسِهِ أو على مسلم، سبّاً أو لعناً. وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلۡحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۗ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [غافر: ٦٥].

ولْنكتفِ بما أورَدَ سيِّدُنا الناظمُ في كتابِهِ «النصائح الدينية» تبرُّكاً بنقْلِهِ، وتَيامُناً بترتيبِهِ رضيَ اللهُ عنهُ، وهُوَ:

قال النبيُّ ﷺ: «الدُّعاءُ هُوَ العبادة»[١]، وقال عليهِ السلام: «الدعاءُ سلاحُ المؤمن، وعمادُ الدِّين، ونورُ السمواتِ والأرض»[٢]، وقال عليهِ السلام: «لا يَـرُدُّ [٤٢أ] القضاءَ إلّا الدعاء، ولا يزيدُ في العُمُرِ إلّا البرّ»[٣]، وقال عليه السلام: «الدعاءُ مُخُّ العبادة»[٤]، وقال عليهِ السلام: «لا يَهلِكُ معَ الدعاءِ أحد»[٥]، و«الدعاءُ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١٧٦٢٩)، وأبو داود (١٢٦٤)، والترمذي (٢٨٩٥)، وابن ماجَهْ (٣٨١٨)، وغيرهم، من حديث النعمان بن بشير رضيَ الله عنه.

(٢) أخرجه الحاكم ٤: ٣٥٩، وأبو يعلى ١: ٤٢٣ (٤١٩)، والقضاعيُّ في «مسند الشهاب» ١: ٢٢٩ (١٣٦)، من حديث عليٍّ كرَّمَ الله وجهَه.

(٣) أخرجه الترمذي (٢٠٦٥)، من حديث سلمانَ الفارسيِّ رضيَ الله عنه.

(٤) أخرجه الترمذي (٣٢٩٣)، من حديث أنسٍ رضيَ الله عنه، وتفرَّد به ابنُ لهيعة.

(٥) أخرجه الحاكم ٤: ٣٦٥، من حديث أنسٍ رضيَ الله عنه، وتمامُه من أوله: «لا تعجزوا في الدعاء، فإنه لا يَهلك مع الدعاء أحد».

ينفعُ مما نزَلَ ومما لم ينزِل»[١]، وقـال عليـهِ السلام: «ادعـوا اللهَ وأنتم مُوقِنـونَ بالإجابة»[٢].

واعلموا أنّ اللهَ لا يستجيبُ دعاءً مِن قلبٍ غافلٍ لاهٍ.

وأمَرَ عليهِ الصلاةُ والسلامُ بتعظيمِ المسألةِ وبجزْمِها، وأنْ لا يقولَ العبدُ: اللهُمَّ اغفِرْ لي إنْ شئتَ، بل يَعزِمُ المسألةَ[٣]، ويُعظِمُ الرغبةَ ويُلحُّ في المسألةِ ويوقِنُ بالإجابة، ويكونُ عندَ دعائهِ حاضرَ القلبِ معَ ربِّه، خائفاً منَ الردِّ، مِن حيثُ غفلتُهُ عن مولاهُ وتقصيرُهُ في القيامِ بحقِّه، وطامعاً في الإجابةِ ونيْلِ الرغبةِ لكمالِ الـجُودِ وصِدقِ الوعدِ. وقد ورَدَ: «إنّ اللهَ حَييٌّ كريم، يستحيي منَ العبدِ إذا رفَعَ إليهِ يدَيْهِ أن يرُدَّهما فارغتيْن»[٤]، وورَدَ أيضاً أنه لا يدعو اللهَ داعٍ إلّا استجابَ لهُ، فإمّا أنْ يُعجِّلَ لهُ ما سأل، وإمّا أنْ يدفعَ عنهُ منَ البلاء أعظمَ من ذلك، وإمّا أن يدَّخرَ لهُ في الآخرةِ ما هُوَ أفضلُ وأكمل.

فينبغي للعبدِ أنْ لا يزالَ داعياً ومتضرِّعاً في رخائهِ وشدّتِه، ويُسرِهِ وعُسرِه، ولا يَستَبْطِئَ الإجابـةَ ولا يـيأسْ، فقد يكـونُ لله سِرٌّ وخِيَـرةٌ في تأخيـرِ بعضِ

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧١)، والحاكم ٤: ٣٦٢، من حديث ابن عمر رضيَ الله عنهما، وأخرجه أحمد (٢١٠٣٣) من حديث معاذٍ رضيَ الله عنه.

(٢) أخرجه أحمد (٦٣٦٨)، من حديث عبد الله بن عمرو رضيَ الله عنهما، والترمذي (٣٤٠١) من حديث أبي هريرة رضيَ الله عنه، واللفظ له، ومثلُه الحاكم ٤: ٣٦٤، وغيرهم.

(٣) أخرجه البخاري (٥٨٦٤)، ومسلمٌ (٤٨٣٨)، وغيرهما، من حديث أبي هريرةَ رضيَ الله عنه.

(٤) أخرجه أبو داود (١٢٧٣)، والترمذي (٣٤٧٩)، وابن ماجَهْ (٣٨٥٥)، وغيرهم، من حديث سلمانَ الفارسيِّ رضيَ الله عنه.

الأمور، ويكونُ للعبدِ في ذلك صلاحٌ ونفعٌ مِن حيثُ [٤٢ب] لا يشعُرُ، فلْيَدْعُ ولْيُفوِّضْ، وكلّما سأل ربَّهُ شيئاً فلْيسألْهُ معَهُ اللُّطفَ والعافيةَ وصَلاحَ العاقبة، ولْيسألِ اللهَ كلَّما شاء ممّا فيهِ رِضىً مِن أمورِ الآخرةِ والدنيا ومِن كلِّ جليلٍ وحقير، ولا يغفُلْ عن أكلِ الحلالِ فإنّهُ مِن أهمِّ الشرائطِ لاستجابةِ الدعاءِ كما في الحديثِ الصّحيح: «ثُم ذكَرَ الرجُلَ يطيلُ السفرَ أشعَثَ أغبَرَ يمُدُّ يدَيْهِ إلى السماءِ: يا ربِّ يا ربِّ، ومَطعمُهُ حرامٌ ومَلبسُهُ حرامٌ وغُذِيَ بالحرامِ فأنّى يُستجابُ لذلك؟»[١].

وقال بعضُ السلَف: الدعاءُ كالمفتاح وأسنانُـهُ لُقَمُ الحلال.

وينبغي للإنسانِ أنْ لا يَغفُلَ عنِ الدعاءِ في أوقاتِ الصِّحةِ والرخاء، قال عليهِ السلامُ: «تعرَّفْ إلى الله في الرخاءِ يَعرِفْكَ في الشِّدة»[٢]، وقال عليهِ السلام: «مَن سرَّهُ أن يستجيب اللهُ لهُ عند الشدائدِ والكُرَبِ فلْيُكثِرْ منَ الدعاءِ في الرخاء»[٣].

وبالجُملة، فالدعاءُ مِن أعظمِ ما أنعمَ اللهُ بِهِ على عبادِهِ حينَ أمرَهم به وحرَّضَهم عليه، حتى أنهُ عزَّ وجَلَّ يغضبُ على مَن لم يسألْهُ، كما قال عليهِ السلام: «مَن لم يسألِ اللهَ يغضَبْ عليه»[٤].

وكما ينبغي أن يدعوَ لنفسِهِ بالخيرِ وبالنجاةِ منَ الشرّ، فينبغي أن يدعوَ بمثلِ ذلك لوالدَيْهِ ولأحبابِهِ وللمسلمين، ولْيَحذَرْ كلَّ الحذَرِ منَ الدعاءِ بالشرِّ على

---

(١) أخرجه مسلم (١٦٨٦)، وغيره، من حديث أبي هريرةَ رضيَ الله عنه.

(٢) جزءٌ من حديث وصية النبي ﷺ لابن عبّاسٍ رضيَ الله عنهما، أخرجه أحمد (٢٦٦٦)، وغيره. وأفرده بالشرح الحافظُ الزينُ ابن رجب، في جزءٍ سمّاه «نور الاقتباس»، مطبوع.

(٣) أخرجه الترمذي (٣٣٠٤)، وغيره، من حديث أبي هريرةَ رضيَ الله عنه.

(٤) تقدَّم تخريجُه.

نفْسِه أو على أولادِه أو على مالِهِ أو على أحدٍ مِن عبادِ الله، وإنْ ظلَمَهُ فلْيَـكِلْ أمرَهُ إلى الله تعالى [٤٣أ] ولْيَرْضَ بنُصْرةِ الله تعالى لهُ، وفي الحديث: «مَن دعا على مَن ظلَمَهُ فقدِ انتصَر»(١).

ولا خيرَ في الدعاءِ بالشرِّ على ظالمٍ ولا على غيرِه، ولْيجعَلْ بدَلَ الدعاءِ عليهِ الدعاءَ لهُ كما هيَ صفةُ عبادِ الرحمن.

ويَفتَـتِحُ الدعاءَ بالحمدِ لله والثناءِ عليه، ثُم بالصلاةِ والسلامِ على رسولِ الله ﷺ وعلى آلِهِ، ولْيختِمْ دعاءَهُ بمثلِ ذلكَ، ثُم لْيقُلْ بعدَهُ: آمين. وفي حديث عائشةَ رضيَ اللهُ عنها، أنه كان عليهِ الصّلاةُ والسلامُ يَستحِبُّ منَ الدعاءِ الجوامعَ الكواملَ، ويدَعُ ما سوى ذلك(٢)، فمنَ الدعَواتِ النبويّات الجامعات: «اللهُمَّ إنّي أسألكَ العافيةَ في الدنيا والآخرة، اللهُمَّ أحسِنْ عاقبتي في الأمورِ كلِّها وأجِرْني مِن خِزْي الدنيا وعذابِ الآخرة، اللهُمَّ ارْزُقْني طيِّباً، واستعمِلْني صالحاً، اللهُمَّ ألهِمني رُشدي، وأعِذْني مِن شرِّ نفْسي، اللهُمَّ إنّا نسأَلُك الهدى والتُّقى، والعفافَ والغنى، اللهُمَّ كما حسَّنتَ خَلْقي فحسِّنْ خُلُقي، اللهُمَّ اجعَلْ سريرتي خيراً مِن عَلَانِيَتي، واجعَلْ علانِيَتي صالحاً، اللهُمَّ إنّي أسأَلُكَ علماً نافعاً، ورزْقاً طيّباً، وعمَلاً متقبَّلاً، اللهُمَّ اجعَلْ خيرَ عُمُري آخرَه، وخيرَ عمَلي خواتِـمَـه، وخيرَ أيامي يومَ لقاك، اللهُمَّ أرِني الحقَّ حقاً وارزُقْني اتّباعَه، وأرِني الباطلَ باطلاً [٤٣ب] وارزُقْني اجتنابَه، اللهُمَّ استُرْ عوْراتِنا، وآمِنْ روْعاتِنا، اللهُمَّ ربَّنا آتِنا في الدنيا حسَنةً وفي الآخرةِ حسَنةً وقِنا عذابَ النار.

---

(١) أخرجه الترمذي (٣٤٧٥)، وغيره، من حديث أمِّ المؤمنين عائشةَ رضيَ الله عنها.

(٢) أخرجه ابن أبي شيبةَ في «مصنّفه» ٧: ٢٣ (٤).

وهذا آخرُ كلامِ سيّدِنا الناظم في «نصائحِهِ» نفَعَ اللهُ به، وبهِ يُختَمُ الكتاب، واللهُ يُرشدُ إلى سَنَنِ الصواب، والحمدُ لله الذي هدانا لهذا، وما كنّا لنهتديَ لولا أنْ هدانا الله.

ربَّنا لا تُزِغْ قلوبَنا بعدَ إذ هدَيْتَنا وهَبْ لنا مِن لدُنْكَ رحمةً إنّكَ أنتَ الوهّاب، وهيِّئْ لنا من أمرِنا رَشَداً، ربَّنا أَتمِمْ لنا نورَنا واغفِرْ لنا إنّكَ على كلِّ شيءٍ قدير، ربَّنا لا تؤاخِذْنا إنْ نَسِينا أو أخطَأْنا، ربَّنا ولا تحمِلْ علينا إصْراً كما حَمْلتَهُ على الذينَ مِن قبلِنا، ربَّنا ولا تُحمِّلْنا ما لا طاقةَ لنا به، واعفُ عنّا واغفِرْ لنا وارحَمْنا، أنتَ مولانا فانصُرْنا على القومِ الكافرين، وصَلّى الله على سيّدِنا محمّدٍ خاتَمِ النبيِّينَ وآلِهِ وصحبِهِ أجمعين، يا أرحمَ الراحمين، والحمدُ لله ربِّ العالمين، آمين.

* * *

ثَبَتُ مصادرِ التحقيق ومراجعِه

إدام القوت في ذكر بلدان حضرموت: لعبد الرحمن بن عبيد الله السقاف، تحقيق: محمد أبو بكر عبد الله باذيب ومحمد مصطفى الخطيب، دار المنهاج للنشر والتوزيع، جدّة، ط١، ١٤٢٥هـ = ٢٠٠٥م.

الأعلام: لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت ـ لبنان، ط١١، ١٩٩٥م.

تاج الأعراس في مناقب الحبيب صالح بن عبد الله العطّاس: لعلي بن حسين العطّاس، مكتبة منارة قدس ومطبعتها، إندونيسيا، ١٣٩٩هـ=١٩٧٩م.

تاريخ الشعراء الحضرميين: لعبد الله بن محمد السقاف، مصوَّرة مكتبة الكمال بالطائف عن الطبعة المصرية الأولى.

الدرر واللطائف في اختصار عوارف المعارف: لمحمد بن زين بن سميط، تحقيق: حمد الله حافظ الصفتي، قرأه وقدّم له: إياد أحمد الغوج، دارا: الفتح للدراسات والنشر بعمّان الأردن، والعلم والدعوة بتريم حضرموت، ط١، ١٤٢٧هـ = ٢٠٠٦م.

الدليل المشير إلى فَلَكِ أسانيد الاتصال بالحبيب البشير ﷺ: لأبي بكر بن أحمد بن حسين الحبشي (ت١٣٧٤هـ)، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ط١، ١٤١٨هـ = ١٩٩٧م.

ديوان أبي فراس الحمداني: شرح وتقديم: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان، ط٥، ١٤٢٤هـ = ٢٠٠٣م.

ديوان الإمام الحداد المسمّى الدر المنظوم لذوي العقول والفهوم: ناشره والمعتني بتحقيقه: السيّد عبد القادر الجيلاني بن سالم الخرد، ط٢، ١٤٢١هـ = ٢٠٠١م.

الرسالة القشيرية: لأبي القاسم القُشَيري، تحقيق: الدكتور عبد الحليم محمود والدكتور محمود بن الشريف، دار الشعب، القاهرة، ١٤٠٩هـ = ١٩٨٩م.

شمس الظهيرة: لعبد الرحمن بن محمد المشهور، تحقيق: محمد ضياء شهاب، دار الشروق، جدة، ط١، ١٤٠٤هـ.

طبقات الشافعية الكبرى: لتاج الدين السبكي، تحقيق: الدكتور محمود الطناحي والدكتور عبد الفتاح الحلو، هَجَر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان، ط٢، ١٤١٣هـ= ١٩٩٢م.

عقد اليواقيت الجوهرية: لعيدروس بن عمر الحبشي، تحقيق: محمد أبو بكر عبد الله باذيب، دارا: الفتح للدراسات والنشر بعمّان الأردن، والعلم والدعوة بتريم حضرموت، ط١، ١٤٣٠هـ= ٢٠٠٩م.

قرة الناظر بمناقب الحبيب محمد بن طاهر: لعبد الله بن طاهر الحدّاد، مخطوط.

القلادة (مجموعة مقالات في التاريخ والأنساب والتراجم والأدب): لعمر بن أبي بكر بن عبد الله باذيب، (مخطوط).

لسان العرب: لابن منظور، دار صادر، بيروت ـ لبنان، ط ،

مجمع البحرين في مناقب الحبيب محمد بن زين: لمعروف بن محمد باجمّال، مخطوط.

المحاسن المجتمعة في مآثر الإخوة الأربعة: لمحمد بن أبي بكر باذيب، دار الفتح للدراسات والنشر، عمّان ـ الأردن، ط١، ١٤٢٦هـ= ٢٠٠٥م.

مختار الصحاح: لزين الدين الرازي، تحقيق حمزة فتح الله، مصوَّرة مؤسَّسة الرسالة ببيروت عن الطبعة المصرية.

معجم المؤلفين: لعمر رضا كحّالة، مؤسسة الرسالة، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤١٤هـ= ١٩٩٣م.

المعجم المختص: لمحمد مرتضى الزبيدي، تحقيق: نظام محمد صالح يعقوبي ومحمد بن ناصر العجمي، دار البشائر الإسلامية، بيروت ـ لبنان، ط١، ١٤٢٧هـ= ٢٠٠٦م.

* * *

فهرس المحتويات

الموضوع **الصفحة**

بداية شرح القصيدة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع	الصفحة

الموضوع | الصفحة

الموضوع	الصفحة